بسم الله الرحمن الرحیم

عصر الإمام المجتبى عليه السلام
اجتماعياً وسياسياً

الشيخ محمدهادي اليوسفي الغروي

عنوان و پدید آور : عصر الامام المجتبی (ع): اجتماعیاً و سیاسیاً / محمد هادی الیوسفی الغروی.
مشخصات نشر : قم : مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام، ١٤٣٥ ق. = ١٣٩٣ ش.
مشخصات ظاهری : ١٨١ ص.
شابک : ٨ – ٨٠٥-٥٢٩-٩٦٤-٩٧٨
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت : کتابنامه: ص. ٢١٠ – ٢٢٠؛ همچنین به صورت زیر نویس.
موضوع : حسن بن علی (ع)، امام دوم، ٣ – ٥٠ ق.
موضوع : حسن بن علی (ع)، امام دوم، ٣ – ٥٠ ق. – صلح با معاویه
موضوع : حسن بن علی (ع)، امام دوم، ٣ – ٥٠ ق. – سرگذشتنامه
موضوع : اسلام – تاریخ – از آغاز تا ٥٠ ق.
شناسه افزوده : مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام.
رده بندی کنگره : ١٣٩٣ - ٦ ع ٩ ی/ ٤٠ BP
رده بندی دیویی : ٢٩٧/٩٥٢

اسم الكتاب: عصر الإمام المجتبى عليه السلام اجتماعياً وسيّاسياً
المؤلّف: الشيخ محمّدهادي اليوسفي الغروي
الموضوع: التاريخ والحديث
الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
الطبعة: الأولى
المطبعة: نگارش
الكمّية: ١٠٠٠
تاريخ النشر: ١٤٣٥ هـ ق

ردمك: ٨-٨٠٥-٥٢٩-٩٦٤-٩٨٧

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

العنوان: قم، شارع جمهوری اسلامی، رأس الفراع ٦، الهاتف: ١٠ - ٣٢١٣١٣٠٦ – ٠٢٥
طهران، شارع كشاورز، مقابل منتزه لاله، رقم ٢٤٨، تلفن: ٨٨٩٥٠٨٢٧ - ٠٢١
www.ahl-ul-bayt.org **www.abwacd.ir**
info@ahl-ul-bayt.org **www.abna.com**

أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود
من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

مسند أحمد ٣ : ١٤ و ١٨ (ما أسند عن أبي سعيد)
سنن الترمذي ٥: ٣٢٩ / ح ٨٣٧٦
المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ و ١٤٨.
فضائل الصحابة للنسائي: ١٥ (باب فضائل عليّ عليه السلام)
المعجم الأوسط للطبراني ٣ : ٣٧٤

مقدمة المجمع

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تجسّد الإسلام المحمّدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة. «فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا» . إنّ هذه المدرسة الثرّة والوضّاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبإرشادات الأئمة الأطهار عليهم السلام، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وليد هذا التغيير المبارك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئي(مُدّ ظلّه الوارف) في عام ١٩٩٠م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليلة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت عليهم السلام والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

إن المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وفي سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام وترصين دعائم البيت الشيعي، قامت بتأليف الكتب واصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافّة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفي شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولي لسبط النبي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام .

ونظراً لإيكال مسؤولية اللجنة العلمية للمؤتمر إلى معاونية الشؤون الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، وبالتعاون مع بعض المؤسسات الثقافية بادرت هذه المعاونية إلى اعلان الدعوة العامّة داعيةً فيها النُخب الإسلامية إلى كتابة المقالات والبحوث حول شخصية السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الفردية والعائلية وأُسلوب عيشه الاجتماعي، الثقافي،السياسي والاقتصادي، وفي ضوء ما سبق ذكره، بذلنا مجهودنا من أجل أن تصاغ وتنشر هذه المجموعة من المقالات على أكثر ما يمكن من الاتقان والعمق.

وهنا أرى لِزاماً عليَّ أن أقدّم شكري للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العام للمجمع

العالمي لأهل البيت عليهم السلام حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّدحسن اختري(دام عزّه)، ومعاون الشؤون الدولية حجّة الإسلام والمسلمين محمّد سالار المحترم، معاون الشؤون التنفيذية محمّدرضا نظام دوست، وأعضاء لجنة إقامة المؤتمر المحترمين، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر الموقّرين حجج الإسلام والمسلمين: محمّدهادي اليوسفي الغروي، السيد منذر الحكيم، حميدرضا المطهّري، رمضان المحمّدي، محمّدرضا الجبّاري، نعمة الله صفري فروشاني، محسن الويري، سيد محمّدرضا آل أيوب، عباس الجعفري مدير لجنة الدراسات الإسلامية الأصيلة.

وكذا نشكر ونقدّر مساعدة المؤسسات المواكبة لنا: (وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مركز إقامة صلاة الجمعة في طهران، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، مؤسسة القاسم بن الحسن عليه السلام الثقافية الدينية، مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، بلدية طهران، منظمة الإعلام الإسلامي، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية ـ قم، مركز متابعة شؤون المساجد، مؤسسة البحوث والتحقيقات الإسلامية، جمعية المؤرخين في الحوزة العلمية ـ قم)، التي عاضدت المجمع في هذه الحركة العظيمة وكذلك حجج الإسلام السادة: علم الهدى، شيرمردي ، حسيني عارف، والإخوة الكرام السادة: راشد، خاكرند، المهدوي منش، الكرماني، الخرسندي، عابديني، الصالحي، شمس الديني المطلق، البغدادي، الصمدي والقديري.

وكذلك نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيّمين وخاصة الأخ محمّد الساعدي، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين ولنشر فكر أهل البيت عليهم السلام.

نجف لك زايي

معاون الشؤون الثقافية والمسؤول العلمي للمؤتمر

مقدّمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت«موسوعة التاريخ الإسلامي» وأنا أُريد أن أسدّ به خلّةً أو قل فراغاً في المكتبة الإسلامية لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، في تدوين تواريخهم، فهم لإيمانهم بهم عقائدياً، حتى لما يدوّنون تواريخهم يخرجون فيه مخرجاً عقائدياً، فيخلطون التاريخ بأخبار فضائلهم ومناقبهم، من دون أن يتقيّدوا في ذلك بالعمود التاريخي، فالكتاب لا يكون تاريخياً خالياً عمّا سواه بل خليطاً مزيجاً بأخبار الفضائل والمناقب. هذا من حيث الموضوع.

ومن حيث المصادر يرون تكثيرها عن غيرهم من سائر المسلمين، وهذا فتح باب الإشكال عليهم: بأنّكم «لا سلف لكم ولا مصنّف» وبالخصوص لا تاريخ لكم، حيث نراكم في تواريخكم تكثرون من الإسناد إلى المصادر من غيركم من سائر المسلمين، ثم هم في ذكر هذه المصادر يتناولون الأقرب ولا يعتنون بالتوغّل إلى أعماق التواريخ ليستندوا إلى أقدم مصدر هو الأصل في النقل، فإنّا لو توصلّنا إلى الأصل الأقدم الأقوم فلا حاجة إلى النقل عن الفرع والناقل المتأخّر ثم التكثير منه. وأنا رأيت المكتبة الإسلامية لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام خالية من تاريخ يخلو من هذه الإشكالات، فحاولت أن أسدّ هذا الفراغ أو الخلّة، فكانت «موسوعة التاريخ الإسلامي» بدءاً من السيرة النبوية ومروراً بتواريخ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في عهود إمامتهم، وانتهاءً بنهاية الغيبة

الصغرى ووصولاً إلى بداية الغيبة الكبرى عام ٣٣٠ هـ.

وعزم «المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام» على إحياء ذكرى «سبط النبي» الإمام أبي محمّد الحسن بن علي المجتبى عليه السلام، فاستكتب الكتّاب المسلمين ليكتبوا عن سبط نبيّهم حصيلة قراءاتهم عنه عليه السلام ، واقترح أن يضمّوا إلى مقالاتهم كتاباً عنه، ولاقى هذا الاقتراح من المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ترحيباً بذلك، فكان هذا الكتاب بين أيديكم أيّها القرّاء الكرام «عصر الإمام المجتبى عليه السلام اجتماعياً وسياسياً» والله من وراء القصد.

محمّدهادي اليوسفي الغروي
شعبان/ ١٤٣٥ هـ. ق
قم المقدسة

مع جدّه في مولده:

سرد الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ) في المجلّد الثاني من كتابه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ثلاثة طرق تنتهي إلى: أحمد بن عبدالله الشيباني الهروي، وداود بن سليمان الفرّاء، وعامر بن سليمان الطائي البصري عن الرضا عليه السلام سنة أربع وتسعين ومئة، أي قبل نقله إلى مرو بسبع سنين، عن أبيه عن آبائه عن علي بن الحسين عليهم السلام عن أسماء (بنت يزيد بن السكن الأنصاري) [١].

قالت: إنّ فاطمة لمّا حملت بالحسن وولدته وجاء النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أسماء! هلمّي ابني. فدفعتُه إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبيّ! وأذّن في أذنه اليمنى وأقام اليسرى، ثم قال لعلي عليه السلام بأيّ شيء سمّيت ابني؟ قال: ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله، وقد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً! [٢]

وكأن الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) أعرض عن هذا في مفتتح المجلس الثالث عشر من مجالس أماليه إلى خبر آخر أخرجه عن هلال بن محمّد الحفّار عن إسماعيل بن علي الخزاعي عن أبيه علي بن علي الخزاعي البغدادي أخي دعبل، قال: رحلنا إلى الرضا عليه السلام من بغداد على طريق البصرة سنة ثمان وتسعين ومئة إلى آخر سنة مئتين ثم خرجنا إلى قم [٣].

---

(١) والتبس الأمر على الرواة فقالوا: أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر الطيّار بن أبي طالب، وهي كانت معه يومئذ في هجرة الحبشة، ولم تكن في المدينة . أما أسماء الأنصارية فهي كانت ولّادة بالمدينة فولدّت الحسن عليه السلام.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٥.

(٣) هذا والمعروف من تاريخ جلب المأمون للرضا عليه السلام إلى مرو سنة ٢٠١ هـ، الأمالي: ٣٦١.

وبعده بثلاثين حديثاً يقول: وبهذا الإسناد عن علي بن الحسين عليه السلام قال: حدّثني أسماء (كما مرّ في خبر الصدوق) قالت: قبّلت جدّتك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام فلمّا ولدت الحسن عليه السلام جاء النبيّ فقال: يا أسماء هاتي ابني. قالت: فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها وقال: لا تلفّوا المولود في خرقة صفراء، ودعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها، ثم أذّن في أُذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وقال لعلي عليه السلام بم سمّيت ابنك هذا؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله! (وليس فيها هنا ما مرّ في خبر الصدوق: قد كنت أُحبّ أن اسمّيه حرباً! ممّا هو مستبعد جداً) قالت: فقال صلى الله عليه وآله: وأنا ما كنت لأسبق ربّي عزّوجلّ.

قالت: فهبط جبرئيل وقال: إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمّد؛ علي منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدك، فسمّ ابنك باسم ابن هارون.

قال النبي: يا جبرئيل، وما اسم ابن هارون؟ قال: شبّر، قال: وما شبّر ؟ قال: الحسن. فسمّاه الحسن[1].

ولكن الشيخ الصدوق في «أماليه» أسند عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام ـ بلا إسناد عن أسماء ـ قال: لما ولدت فاطمة الحسن قالت لعلي عليه السلام سمّه. قال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله فأُخرج إليه في خرقة صفراء فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها، ثم قال لعلي عليه السلام: هل سمّيته؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه، فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربّي عز وجل.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل: إنّه وقد ولد لمحمّد ابن فاهبط فاقرأه السلام وهنّه وقل له: إنّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٥.

فهبط جبرائيل فهنّاه من الله عز وجل ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر. قال: لسان عربي. قال: سمّه الحسن. فسمّاه الحسن[١] وكان ذلك ليلة النصف من شهر رمضان المبارك. برواية المفيد عن الصادق عليه السلام[٢].

فلمّا كان يوم سابعه عقّ النبيّ عنه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً ودیناراً، ثم حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضة) وطلّى رأسه بالخلوق (الطيب) ثم قال لأسماء: يا أسماء؛ الدم فعل الجاهلية[٣].

الحسن عليه السلام في آية التطهير:

روى الحسن بن الحكم الكوفي عن شهر بن حَوشب قال: سألت أُمّ سلمة عن آية التطهير: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا**﴾[٤] فقالت: كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله على منامة لنا تحتنا كساء خيبري (من غنائم خيبر في السابعة للهجرة) وكانت ليلة قارّة (باردة) فقالت الخادمة(؟): هذا علي وفاطمة ومعها الحسن والحسين عليهم السلام بالسُدّة. فقال لي (رسول الله): تنحّي عن أهل بيتي، فقمت وجلست ناحية، وأذن لهم، فدخلوا، فقبّل فاطمة واعتنقها، وقبّل عليّاً واعتنقه، وضمّ الحسن والحسين وهما صبيّان صغيران. وكان مع فاطمة طبق تحمله وعليه بُرمة (قدر) من فخار فيه حريرة أو عصيدة، فوضعته بين يديه فأكلوا.

وأخذ رسول الله الكساء الخيبري الفدكي وهي خميصة له سوداء (من خزّ أو صوف) فأخذه من تحتنا فعطفه ولفّه عليهم جميعاً، ثم أخذ بشماله طرفي

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٧ ح ٢٠٩ م٢٨.

(٢) الإرشاد ٢: ٥.

(٣) وبدّله صلى الله عليه وآله بطيب الخلوق.

(٤) انظر المصادر في موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ١٢٩ ـ ١٣١.

الكساء وألوى بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهمّ هؤلاء «أهل بيتي» فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قالها ثلاث مرّات ثم قال: كما أذهبت عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وطهّرهم من الرجس كما طهّرت آل لوط وآل عمران وآل هارون، اللهمّ إن هؤلاء «آل محمّد» فاجعل صلواتك وبركاتك على «آل محمّد» كما جعلتها على إبراهيم إنّك حميد مجيد.

وكنت أنا عند عتبة الباب فقلت: يا رسول الله وأنا منهم؟ أو: معهم ؟ أو: هل أنا من أهل بيت؟ أو: ألست من أهل البيت؟ أو: ألست من أهلك يا رسول الله؟ يا رسول الله ألست من أهلك؟ ورفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: لا، إنّك زوج النبيّ وأنت على خير، وهؤلاء أهل بيتي، وما قال إنّك من أهل البيت، فلو كان قال نعم كان أحبّ إليّ ممّا تطلع عليه الشمس. ونزلت الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ في النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين[1].

الحسن عليه السلام في المباهلة:

بعد عام الوفود في التاسعة للهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رؤساء القبائل التي لم تفد إليه بإسلامها يدعوهم إلى الإسلام.

ولمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من أرض الروم (الشام = غزوة تبوك) إلى المدينة لقيه رسول من أسلم من اليمن، فكتب إليهم: وقع بنا رسولكم مقدمنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلّغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما كان قبلكم ونبّأنا بإسلامكم وأن الله قد هداكم.

---

(١) انظر المصادر في موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ١٢٩ ـ ١٣١.

وكتب إلى همدان... فإنّه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم فأبشروا فإن الله قد هداكم بهداه.

وكتب إلى نجران: بسم الله، من محمّد رسول الله إلى أسقفة نجران، بسم الله، فإنّي أحمد إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أما بعد ذلكم؛ فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام.

فقدم عليه أهل نجران برئيسهم الأسقُف أبوحارثة، ومعه السيّد والعاقب وعبدالمسيح والأيهم وقيس وكوز، دخلوا على رسول الله بهيئة لم يدخل بها أحد أظهروا الديباح والصلبان، وأراد المسلمون أن يمنعوهم فقال رسول الله: دعوهم.

فقال أبو حارثة: يا محمّد! ما تقول في المسيح؟ قال: هو عبدالله ورسوله. فقال: تعالى الله عمّا قلت يا أبا القاسم.

ونزل فيهم: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1]. فرضوا بالمباهلة وتواعدوا غداً صباحاً.

فلمّا أصبحوا غدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة، وبين يديه علي بن أبي طالب. وغدا السيّد والعاقب ومعهما ابنان لهما عليهما الحُلّي والدرر وقد صفّوا بأبي حارثة.

---

(١) آل عمران: ٥٩ ـ ٦٣.

فقال أبو حارثة: مَن هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه بين يديه وهذان ابناه وتلك ابنته. ثم جثا رسول الله على ركبتيه. فقال أبو حارثة: جثا والله كما يجثو النبيّون للمباهلة. فقال له السيّد: يا أبا حارثة أُدن للمباهلة. فقال: إنّي أرى رجلاً جريئاً على المباهلة، وإنّي أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يُحلِ الحول وفي الدنيا نصراني يَطعم الطعام.

ثم قال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلك؛ ولكنّا نعطيك الجزية. فصالحهم رسول الله على ألفي حلّة من حُلل الأواقي، قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً، ألف في صفر، وألف في رجب. وكتب لهم رسول الله بذلك كتاباً كتبه علي بن أبي طالب وشهد فيه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

فلما عادوا إلى اليمن رجع الأيهم مسلماً[١].

إنزل عن منبر أبي:

روى البلاذري عن عروة بن الزبير قال: كان أبو بكر يوماً يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد النبوي الشريف، فجاء الحسن عليه السلام فرآه فقال له: انزل عن منبر أبي![٢].

ورواه الحلبي عن السمعاني عن أُسامة بن زيد قال: جاء الحسن بن علي عليه السلام إلى أبي بكر يوماً وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: انزل عن مجلس أبي! قال: صدقت، إنّه مجلس أبيك[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٠ ـ ٨٣. وانظر موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٥٤٣ ـ ٥٥٦.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٢٦ ح٤١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٥ عن فضائل الصحابة للسمعاني وتاريخ بغداد ١: ١٤١.

وروى الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: أصبح أبوبكر وعمر وقصدا عيادة فاطمة، فلقيا قرشياً قالا له: من أين؟ قال: عزّيت عليّاً بفاطمة! قالا: وقد ماتت؟ قال: نعم ودُفنت جوف الليل! فأقبلا إلى علي عليه السلام فلقياه فقالا له: وكما علّمت ابنك أن يصيح بأبي بكر: إنزل عن منبر أبي، فأخذ علي عليه السلام بيدهما وردّهما إلى المسجد وقال لهما أتصدّقاني إن حلفت لكما؟ قالا: نعم، فحلف وقال: أمّا الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم أهل المدينة أن الحسن كان يتخطّى الصفوف يسعى إلى النبي.. والنبي يخطب (على المنبر، فيُركبه على رقبته ويدلي رجليه على صدره حتى يُرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد، فلا يزال على رقبته حتى يفرغ النبيّ من خطبته والحسن على رقبته، فلمّا رأى الصبيّ على منبر أبيه غيره شقّ عليه ذلك، والله ما أمرته بذلك وما فعله عن أمري)[1].

وبمقدار هذه الأخبار التاريخية عمّا يتعلّق بالإمام الحسن عليه السلام في ميلاده وتسميته وإجراء السنن عليه، وحضوره في حديث الكساء الصحيح عن أُمّ سلمة ونزول آية التطهير وشمولها له، وإحضار الرسول له في مباهلته مع نصارى نجران اليمن، ثم خبر اعتراضه على أبي بكر، نكتفي، لننتقل إلى ما يرتبط بعهد إمامته سياسياً واجتماعياً، ونبدأ بأوّل خطبة له بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

خطبة الحسن عليه السلام في وفاة أبيه:

روى ابن أبي الدنيا عن الشعبي: أن صلاة الفجر يوم وفاة الإمام عليه السلام صلاّها الحسن عليه السلام [2] ورقى المنبر بعد الصلاة في ثياب سود[3] فقام وقال:

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، بتصرّف يسير، ممّا يدل أن ذلك كان قبل رحيل فاطمة عليها السلام.

(٢) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٩٣، الحديث ٨٧.

(٣) المصدر السابق: ٩٥، الحديث ٨٩ عن عاصم بن أبي النجود الكوفي الاصفهاني، القارئ المعروف. وفي عمامة سوداء، بلا ذكر الثياب عن مسند أحمد ١: ١٩٩، وكشف الأستار للبزّار: ٢٥٠ في حاشية مقتل الإمام: ٩٤، الحديث ٨٨، وخصائص النسائي: ٦.

الحمد لله حمداً كثيراً على ما أحببنا وكرهنا، إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، وإني أحتسب عند الله مصابي بأفضل الآباء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ اعلمنّ ـ يا معشر من حضر ـ: أنّه قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يخلّف بعده مثله، وهو علي حبيب رسول الله وأخوه صلى الله عليه وآله، فنحتسب عند الله ما دخل علينا « أهل البيت » خاصّة، وما دخل على جميع أُمّة محمّد عامّة، فوالله لا أقول اليوم إلا حقّاً: لقد دخلت مصيبته على جميع العباد والبلاد، والشجر والدوابّ! فنسأل الله البرّ الرحيم أن يرحم وجهه، وأن يعذّب قاتله، وأن يحسن علينا الخلافة من بعده[١].

أما والله لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن، ورُفع فيها عيسى بن مريم، وفيها قُتل يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام[٢].

لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون (ولقد) كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليدفع الراية إليه فيمضي وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يبرح حتّى يفتح الله عزّ وجل عليه، وما ترك صفراء ولا بيضاء غير سبعمئة درهم كان أرصدها في خادم[٣] يشتريه لأهله[٤] ثمّ خنقته العبرة فبكى، وبكى معه الناس.

ثمّ قال: أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عزّ وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من « أهل البيت » الذين أذهب الله عنهم الرجس

---

(١) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٩٣ ـ ٩٤، الحديث ٨٧ عن الشعبي.

(٢) المصدر السابق: ٩٤ ـ ٩٥، الحديث ٨٨

(٣) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٩٥ ـ ٩٦، الحديث ٩٠.

(٤) المصدر السابق: ٩٢ ـ ٩٣، الحديث ٨٦ ونقلها (اليعقوبي) في تاريخه ٢: ٢١٣، وبعضها ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٦٢، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٤١٤ وقال: وكان كما قال الحسن عليه السلام. والخادم أعم من الذكر والأُنثى.

وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾[١] فاقتراف الحسنة: مودّتنا «أهل البيت»[٢] ثمّ جلس.

وزاد أبو مخنف بسنده: أن عبد الله بن العباس كان حاضراً فقام بين يدي الحسن عليه السلام[٣] والتفت إلى الناس وناداهم: معاشر الناس، هذا ابن بنت نبيّكم، و (وصيّ) إمامكم فبايعوه.

فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبّه إلينا وأوجب حقّه علينا، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة[٤].

وخطبتاه قبل البيعة له وبعدها:

وروى الصدوق، عن ابن عقدة، عن عُوانة بن الحكم بسنده قال: لما قام الناس ليبايعوا الحسن عليه السلام قام فخطبهم فقال: «الحمد لله على ما قضى من أمر، وخصّ من فضل وعمّ من أمر، وجلّل من عافية، حمداً يتمّ به علينا نعمه، ونستوجب به رضوانه. إن الدنيا دار بلاء وفتنة، وكل ما فيها إلى زوال، وقد نبّأنا الله عنها كيما نعتبر، فقدّم إلينا الوعيد كي لا تكون لنا حجة بعد الإنذار، فازهدوا فيما يفنى وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السرّ والعلانية.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) المستدرك للحسكاني ٣: ١٧٢ عن الإمام السجاد عليه السلام، وقبله في الذرية الطاهرة: ١١٠ عن زيد بن الحسن، وفي تفسير فرات: ١٩٧ و ١٩٨، وفي أمالي الطوسي: ٢٦٩، الحديث ٣٩ م ١٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٣٢ ـ ٣٣ بخمسة طرق ومنها عن بني الحسن عليه السلام.

(٤) الإرشاد ٢: ٨. واختلفت رواية البلاذري عنه قال: خرج عبيد الله بن العباس للناس فقال لهم: توفّى أمير المؤمنين برّاً تقياً وعدلا مرضياً أحيا سنة ابن عمه ونبيّه وقضى بالحقّ في أُمّته، وقد ترك خلفاً رضياً مباركاً حليماً، فإن كرهتم فليس أحد على أحد ! وإن أحببتم خرج إليكم (؟) فتبايعوه. فقالوا: يخرج عزيزاً مطاعاً ! فخرج الحسن وخطبهم فبايعوه! كما في أنساب الأشراف ٣: ٣١ تحقيق المحمودي.
ونرى هذا موضوعاً على مذهب الإمامة بالاختيار، في مقابل الخبر السابق عنه بالوصاية.

إنّ علياً عليه السلام في المحيا والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل.

وإني أُبايعكم على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت » فبايعوه على ذلك[1].

وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري قام إليه وقال له: ابسط يدك أُبايعك على كتاب الله وسنة نبيّه وقتال المحلّين ! فقال الحسن عليه السلام: على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإن ذلك يأتي على كلّ شرط. فسكت قيس وبايعه[2].

وبعد بيعة الناس له خطبهم فقال: نحن حزب الله الغالبون وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقَلين الذين خلّفهما رسول الله في أُمّته، التالي كتاب الله... فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنّى تأويله بل نتيقّن حقائقه، فاطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَ أُوْلي الأَمْرِ منْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيْء فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُول**﴾[3] وقال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُول وَإِلَى أُوْلي الأَمْرِ منْهُمْ لَعَلمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبطُونَهُ منْهُمْ**﴾[4].

وأُحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا أولياءه الذين قال لهم: ﴿**لاَ غَالبَ لَكُمْ الْيَوْمَ منْ النَّاس وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفئَتَان**

---

(١) التوحيد: ٣٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٥٨ مرسلا. وأسند البلاذري عن عوانة بن الحكم والكلبي عن أبي مخنف بسنده قال: قام قيس فخطب فوصف فضل علي وسابقته وقرابته، والذي كان عليه في هديه وعدله وزهده. ثمّ قرض الحسن ووصف حاله ومكانه من رسول الله، والذي هو أهله في هديه وحلمه واستحقاقه الأمر بعد أبيه، ورغّبهم في بيعته ودعاهم إلى طاعته، ثمّ كان أول من بايعه.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٣.

نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾[١] فتُلقون للرماح وزراً وللسيوف جُزراً، وللغُمد حطماً وللسهام غرضاً **﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾**[٢] ثمّ سكت ونزل[٣] ثمّ زاد أُجورهم مئة مئة[٤].

ثمّ أقدم على ابن ملجم:

روى ابن أبي الدنيا: أن ابن ملجم جُعل عند عبد الله بن جعفر[٥] وعن الباقر عليه السلام قال: أمر الحسن عليه السلام بابن ملجم فأتي به، فضربه ضربة فأندر أصابعه، فثنّاها فقتله[٦] ثمّ أُدرج في بوريء فأحرق[٧] فرأوه مسودّ الوجه[٨].

وروى أبو الفرج، عن أبي مخنف: أنّ امرأة من النخع من همْدان تدعى أُم الهيثم بنت الأسود استوهبت جيفته بعد ضرب عنقه، فوهبها لها، فأحرقت جثته بالنار[٩] وسوّدت وجهه.

---

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) الأنعام: ١٥٨.

(٣) أمالي المفيد: ٣٤٨، الحديث ٤ م ٤١، وعنه في أمالي الطوسي، الحديث ١٨٨ و ١٤٦٩.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٣٢، ولم يكن قبله وإنما تبعه من بعده.

(٥) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٨٣، الحديث ٧٤.

(٦) المصدر السابق: ٩٠، الحديث ٨٣ ولها تتمّة غير تامّة تشعر بشعور الحسن بالذنب من الضربتين. ومثل صدره في اليعقوبي ٢: ٢١٤.

(٧) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٨٦، الحديث ٧٧.

(٨) المصدر السابق: ٨٨، الحديث ٧٨.

(٩) مقاتل الطالبيين: ٢٦، ويبدو عنه في الإرشاد ١: ٢٢.

وقال البلاذري: لما أُخرج ابن ملجم للقتل اجتمع الناس وجاؤوا معهم ببواري ونِفط ونار وجعلوه في البواري أو في قوصرة كبيرة للتمر من سعف النخيل فأحرقوه[١].

نعي الإمام إلى المدينة والشام:

وذهب بنعي الإمام عليه السلام إلى الحجاز ابن أخي سعد بن أبي وقاص: سفيان بن عبد شمس الزهري، فلما بلغ نعيه عائشة تمثّلت:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافرُ

ثمّ سألت عن قاتله فقيل لها: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غــلام ليس في فيه التراب

وكانت زينب بنت أُم سلمة حاضرة فقالت لها: أَلعليّ تقولين هذا ؟ فقالت: إذا نسيت فذكّروني. ثمّ تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا باسم الصّديق وكثرة الألقاب

حتّى تُركت، كأنّ قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب[٢]

---

(١) أنساب الأشراف ٢: ٤٠٥، الحديث ٥٨٩، وهي أول بادرة لذكر النفط في الكوفة، ولعلّ عنه في مروج الذهب ٢: ٤١٥: ثمّ أخذه الناس وأدرجوه في بواري وطلّوها بالنفط وأشعلوها بالنار. وراجع تحقيق المحقّق المحمودي في تحريق ابن ملجم والتمثيل به وعدمه في حواشيه على هذا الخبر في أنساب الأشراف، ومقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٨٤ ـ ٨٨.

(٢) ذكر بعضه أو كله في الطبقات الكبرى ٣: ٤٠، والموفّقيات: ١٣١ مسنداً وأنساب الأشراف ٢: ٤٠٧، ذيل الحديث ٥٩٩ وتاريخ الطبري ٥: ١٥٠، ومقاتل الطالبيين: ٢٦.

وأمّا نعيه عليه السلام في الشام فقد بلغ نعيه معاوية وهو متّكئ في مجلسه ولعلّه لما به من علاج إليته، فاستوى جالساً والتفت إلى مغنيّته وقال لها: يا جارية غنّيني فاليوم قرّت عيني[١].

ولعلّ هذا أثار أبا الأسود الدؤلي البصري فقال معرّضاً به:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وأكرمهم ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
وقد علمت قريش أين حلّت ... بأنّك خيرها حسباً ودينا[٢]
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرّاً أجمعينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا[٣]

ودعا معاوية الناس إلى بيعته فبايعوه لخمس خلون من شوال سنة أربعين[٤].

(١) تشييد المطاعن ٢: ٤٠٩، وقد مرّ عن اليعقوبي أن قتله(عليه السلام) كان في كانون الثاني أي في الشتاء، وخلافاً لذلك نقل ابن أبي الدنيا: أن معاوية جاءه نعي الإمام وهو مع امرأته في نوم قيلولة في ضحى يوم صائف ! فاسترجع وقال: ماذا فقدوا من الخير والعلم والفضل والفقه ! وما فقدوا من سوابقه وعلمه وفضله ١: ١٠٥، الحديث ٩٤.

(٢) أنساب الأشراف ٢: ٤٠٩، الحديث ٥٩٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٥٠ ـ ١٥١، وفي ديوانه: ٣٢.

(٤) الإمامة والسياسة ٢: ١٦٢.

بيعة الحسن عليه السلام بالحرمين:

مرّ في الأخبار السابقة: أنّ الإمام عليه السلام كان قد سرّح معقل بن قيس الرياحي التميمي في حشر الناس من السواد إلى الكوفة ليتجهّزوا لغزو الشام، وأُصيب الإمام عليه السلام فعاد إليها.

وكان قد أرسل جارية بن قُدامة السعدي التميمي لتعقيب بُسر بن أبي أرطاة العامري، ووصل جارية إلى جُرش في اليمن فخرج بُسر منها إلى مكة، فأقبل جارية حتّى دخل مكة وخرج بُسر منها إلى اليمامة، ويظهر أن وصول جارية إلى مكة كان بعد شهر رمضان ولعلّه في أوائل شهر شوال، وغريب أن كان قد بلغهم مقتل الإمام علي عليه السلام ولم يبلغهم بيعة الناس بعده.

فقام جارية على منبر مكة وقال لهم: يا أهل مكة ! مع مَن أنتم ؟ قالوا: كانت بيعتنا لكم ورأينا معكم، فجاء هؤلاء القوم ودخلوا علينا فلم نقم لهم وقهرونا على البيعة لهم وبيعتكم قبلهم.

فقال لهم: إنّما مثلكم مثل الذين ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[1] قوموا فبايعوا. قالوا: أليس قد هلك أمير المؤمنين رحمة الله عليه فلمن نبايع رحمك الله ! ولا ندري ما صنع الناس بعده. قال: وما عسى أن يصنعوا إلاّ أن يبايعوا الحسن بن علي، قوموا فبايعوا. فبايعوه للحسن عليه السلام.

فخرج منها إلى المدينة، وكان أهل المدينة بعد خروج أبي أيوب الأنصاري منها قد اصطلحوا على أبي هريرة الدوسي للصلاة بهم، ولكنه لما بلغه توجّه جارية إلى المدينة توارى خوفاً منه ! ودخل جارية ولعلّه بلغته شماتة عائشة بقتل

(١) البقرة: ١٤.

الإمام عليه السلام فصعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه، وذكر رسول الله فصلّى عليه ثمّ قال لهم:

أيّها الناس، إنّ علياً رحمه الله ـ يوم ولد ويوم توفّاه الله ويوم يبعث حياً ـ كان عبداً من عباد الله الصالحين، عاش بقدر ومات بأجل، فلا يهنأ الشامتين هلاك سيد المسلمين وأفضل المهاجرين، وابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله. أما والذي لا إله إلاّ هو لو أعلم الشامت منكم لتقرّبت إلى الله عزّ وجل بسفك دمه وتعجيله إلى النار ! ثمّ قال لهم: قوموا فبايعوا للحسن بن علي. ثمّ أقام يومه ذلك يبايعه الناس. ثمّ غدا منها منصرفاً إلى الكوفة، وإذ لم يعيّن لهم أحداً عاد أبو هريرة يصلّي بهم !

وأخذ بُسر من اليمامة طريق السماوة ومنها إلى الشام وقد قَتل في غارته هذه ثلاثين ألفاً[1].

وأقبل جارية إلى الكوفة حتّى دخل على الحسن عليه السلام فعزّاه بأبيه وبايعه ثمّ قال له: يرحمك الله سر بنا إلى عدوّك قبل أن يسار إليك ! فقال له: لو كان الناس كلّهم مثلك سرت بهم[2].

(١) الغارات ٢: ٦٣٨ ـ ٦٤٠.

(٢) الغارات ٢: ٦٤٣.

عهد الإمام الحسن عليه السلام

قال المفيد: تبادروا إلى بيعة الحسن عليه السلام بالخلافة، يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، فأنفذ عبدَ الله بن العبّاس إلى البصرة، ورتّب العمَال في الأُمراء ونظر في الأُمور[1].

البيعة له عليه السلام بالبصرة: كان عبدالله بن العبّاس قد استخلف عنه بالبصرة أبا الأسود الدؤلي، فبلغه نعي علي وبيعة الحسن عليهما السلام فصعد المنبر وخطب وقال: إنّ رجلاً من أعداء الله المارقين عن الدين اغتال أمير المؤمنين في مسجده وهو خارج إليه تهجّده (كذا) فقتله في ليلة يُرجى فيها مصادفة ليلة القدر، فيا لله من قتيل؛ وأكرم به وبروح منه عرجت إلى الله بالبرّ والتقوى والإيمان، والهدى والإحسان ، ولقد انطفأ به نور الله في أرضه لا يضيء بعده (كذا) وهدم ركناً من أركان الإيمان لا يُشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون! وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، ورحمه الله يوم ولد ويوم قُتل ويوم يبعث حيّاً! ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه.

ثم قال: وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله وسليله، وشبيهه في خلقه وهديه. وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وَهى، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل، ويُطفئ به نيران الفتنة، فبايعون ترشدوا:

فبايع له جميع شيعته بالبصرة، وهرب قوم فلحقوا بمعاوية[2] فلما عاد ابن عبّاس إلى البصرة كانت قد بايعت للحسن عليه السلام.

---

(١) الإرشاد ٢: ٩.

(٢) تيسير المطالب لأبي طالب الهاروني م٤٢٤ هـ: ١٤٦.

وروى البلاذري بثلاثة طرق منها عن الكلبي، عن أبي مخنف بإسناده قال: ثمّ مكث أكثر من خمسين ليلة ـ أي إلى نحو النصف من ذي القعدة ـ قاعداً عن تعقيب المسير إلى الشام.

فكتب إليه ابن عباس من البصرة كتاباً يعلمه فيه:

«أما بعد، فإن المسلمين ولّوك أُمورهم بعد علي عليه السلام فشمّر للحرب وجاهد عدوّك، وقارب أصحابك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينك، وولّ أهل البيوتات والشرف تستصلح به عشائرهم حتّى تكون الجماعة، فإنّ بعض ما يكره الناس (من ذلك ولكن) كانت عواقبه تؤدّي إلى ظهور العدل وعزّ الدين، خير من كثير مما يحبّه الناس (من التسوية) إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووهن الدين[1] وذل المؤمنين وعزّ الفاجرين. واقتد (في ذلك) بما جاء عن أئمة العدل: فقد جاء عنهم: أنه لا يصلح الكذب إلاّ في إصلاح بين الناس أو حرب، فإن الحرب خدعة، فلك في ذلك سعة إذ كنت محارباً، ما لم تبطل حقاً ولم تتعدّ الحق.

واعلم أنّ عليّاً أباك إنّما رغب الناس عنه إلى معاوية لأنّه آسى[2] بينهم في الفيء وسوّى بينهم في العطاء فثقل عليهم.

واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام، حتّى ظهر أمر الله، فلما وُحّد الربّ ومحق الشرك وعزّ الدين أظهروا الإيمان وقرؤوا القرآن مستهزئين بآياته ! وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى ! وأدوا الفرائض وهم لها كارهون ! فلما رأوا أنه لا يعزّ في الدين إلاّ الأتقياء الأبرار توسّموا بسيماء

---

(١) إلى هنا في عيون الأخبار للدينوري ١: ١٤ مرسلاً.

(٢) الفتوح لابن الأعثم ٤: ١٤٨، ومناقب الحلبي ٤: ٣٦ عن أبي مخنف. وفي شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢٣: أساء ! تصحيف أو تحريف.

الصالحين ليظنّ المسلمون بهم خيراً ! فما زالوا بذلك حتّى أشركوهم في أمانتهم وقالوا: حسابهم على الله ! فإن كانوا صادقين فاخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين ! وقد مُنيتَ بأُولئك وبأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلاّ غيّاً، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلاّ مقتاً ! فجاهِدهم ولا ترض دنية ولا تقبل خسفاً ! فإنّ علياً عليه السلام لم يجب إلى الحكومة حتّى غُلب على أمره فأجاب وإنّهم (كانوا) يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل، فلما حُكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه، حتى أتى عليه أجله.

فلا تخرجنّ من حقّ أنت أولى به حتّى يحول الموت دون ذلك ! والسلام »[1].

فكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية يعلمه أنّ الناس قد بايعوه بعد أبيه، ويدعوه إلى طاعته.

كتابه إلى معاوية:

«من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد، فإن الله عزّ وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، ومنّة على المؤمنين، وكافّة إلى الناس أجمعين ﴿**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[2].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢٣ ـ ٢٤ عن المدائني، وقريب منه في الفتوح لابن الأعثم ٤: ١٤٨، وأشار إليه البلاذري في أنساب الأشراف ٣: ٣٠ ـ ٣٣، الحديث ٤٣ وذيل ٤٤، والحلبي في مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٦ عن أبي مخنف.

(٢) يس: ٧٠.

فبلّغ رسالات الله وقام على أمر الله حتى توفاه الله غير مقصّر ولا وان، حتى أظهر الله به الحقّ ومحق به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعزّ به العرب، وشرّف به قريشاً خاصة فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1].

فلما توفى تنازعت العرب سلطانه: فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد في الناس وحقه. فرأت العرب: أن القول كما قالت قريش، وأنّ الحجّة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمد صلى الله عليه وآله، فأنعمت لهم العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها: إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاجّتهم وطلب النصَف منهم باعدونا، واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الوليّ النصير.

وقد تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقنا وسلطان نبينا صلى الله عليه وآله، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام[2] فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين: أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده.

فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبك ـ يا معاوية ـ على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود ! وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الله خيّبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقينّ عن قليل ربّك، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلاّم للعبيد.

---

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) هذا بالنسبة إلى المخاطب: معاوية، ودفعاً لتشبثاته، ويدل عليه ما سيأتي فيه.

إن عليّاً لما مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه يوم قبض ويوم يبعث حياً ـ ولاّني المسلمون الأمر بعده[١] فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته. وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى في أمرك، ولك في ذلك إن فعلت الحظّ الجسيم وللمسلمين فيه صلاح، فدع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب، واتّق الله ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به، فادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، وتُجمع الكلمة وتصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلاّ التمادي في غيّك، نهدت إليك بالمسلمين فحاكمتك، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » وبعث بالكتاب إليه مع جندب بن عبد الله الأزدي[٢] والحارث بن سُويد التيمي، فقدما على معاوية وسلّماه الكتاب ودعواه إلى بيعة الحسن عليه السلام فلم يجبهما، بل كتب في جوابه[٣].

جواب معاوية:

«من عبد الله (معاوية) أمير المؤمنين (!) إلى الحسن بن علي. سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما

---

(١) وهذا أيضاً كلام بمقتضى حال مخاطبه معاوية وإلزام له بما التزم إقناعياً، بل في الفتوح لابن الأعثم ٤: ١٥١ ط ١: وبعد، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما نزل به الموت ولاّني هذا الأمر بعده.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٤ ـ ٣٦ عن أبي مخنف عن جندب الأزدي، وهو أكمل نقل.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢٤ ـ ٢٥ عن المدائني.

ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل كلّه قديمه وحديثه وصغيره وكبيره، فقد والله بلّغ فأدّى، ونصح وهدى، حتّى أنقذ الله به من التهلكة، وأنار به من العمى وهدى به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته، وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً.

وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرّحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواريّ الرسول صلى الله عليه وآله [1] وصلحاء المهاجرين والأنصار ! فكرهت ذلك لك ! فإنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ! ولا المسيء ولا اللئيم ! وأنا أُحب لك القول السديد والذكر الجميل.

إنّ هذه الأُمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من النبي، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا الأمر لقريش، لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم: أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً [2] وأعلمها بالله ! وأحبّها له ! وأقواها على أمر الله ! فاختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدين والفضيلة والناظرين للأُمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتّهمين ولا فيما أتوا بمخطئين ! ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم المسلمين ذبّه ؛ ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه ! ولكنّهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله ! فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً !

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من « الصلح » فالحال بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولو علمت أنك أضبط منّي

---

(١) هذه من البوادر الأُولى لإشهار هؤلاء الثلاثة بهذه الألقاب والتأكيد عليها.

(٢) وهذه من البوادر الأُولى لادّعاء سبق إسلام أبي بكر.

للرعيّة، وأحوط عني في هذه الأُمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال ! وأكيَد للعدوّ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلا ! ولكنّي قد علمتَ أني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأُمة تجربة ! وأكثر سياسة ! وأكبر منك سنّاً ! فأنت أحقّ أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني ! فادخل في طاعتي ! ولك الأمر من بعدي ! ولك ما في بيت مال العراق من مال بلغ ما بلغ ! تحمله إلى حيث شئت ! ولك خراج أيّ كور العراق شئت معونة لك على نفقتك، يجبيها لك أمينك ويحملها إليك في كلّ سنة ! ولك أن لا يُستولى عليك بالإساءة، ولا تُقضى دونك الأُمور، ولا تُعصى في أمر أردت به طاعة الله عزّ وجل ! أعاننا الله وإياك على طاعته، إنه سميع مجيب الدعاء، والسلام ».

فروى أبو مخنف الأزدي عن جندب الأزدي قال: لما أتيت بكتاب معاوية إلى الحسن بن علي عليه السلام قلت له: إن الرجل سائر إليك، فابدأ أنت بالمسير إليه حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله. فقال: أفعل، وقعد[1].

جاسوسا معاوية:

وفي أيام متقاربة اُكتشف لمعاوية في العراقين الكوفة والبصرة عينان بصيران جاسوسان، ودُلّ على الذي في الكوفة وهو رجل من حمير الشام عند رجل قصّاب لبني جرير، فأُخذ الحميري وأمر الإمام الحسن عليه السلام بقتله، ثمّ كتب إلى معاوية:

«أما بعد، فإنك دسست إليّ الرجال كأنك تحبّ اللقاء ! وما أشك في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمتّ بما لا يشمت به ذووا الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

وقل للذي يبقى خلاف الذي مضى تجهّز لأُخرى مثلها، فكأن قد

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٦ ـ ٣٧، وأشار إليه المفيد في الإرشاد ٢: ١٠، وذكر بعضه المرتضى في تنزيه الأنبياء: ١٧٠، وتلخيص الشافي ٤: ١٧٤.

وإنـا ومـن قد مـات منّا لكـالذي يروح ويغدو في المبيـت ليغتدي »

فأجابه معاوية: أما بعد، فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس ! وإنّ علي بن أبي طالب كما قال أعشى بني قيس:

وأنت الجواد وأنت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جديـر بطعنة يوم اللقـاء تضرب منها النساء النحورا
وما مُزبد من خليج البحـار يعلـو الأكام ويعلو الجسورا
بأجـود منه بما عنـده فيعطى الألُوف ويعطى البدورا

ودُلّ ابن عباس في البصرة على الذي فيها: رجل من بني القين في بني سليم، فأُخذ وأمر ابن عباس بقتله، ثمّ كتب إلى معاوية: «أما بعد، فإنك ودسّك أخابني قين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيّتك، لكما قال أُمية ابن الأسكر الجندعي الزبيني:

لعمرك إني والخزاعيّ طارقاً كنعجة عاد حَتفها تتحفّر
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تُنحر
شمتّ بقوم من صديقك أُهلكوا أصابهمُ يوم من الدهر أعسر »

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن بن علي قد كتب إليّ بنحو مما كتبت به، وأنبأني بما لم أُجز ! ظنّاً وسوء رأي ! وإنك لم تصب مَثلكم ومَثلي، ولكن مَثلنا ما قاله طارق الخزاعي يجيب أُمية بن الأسكر عن هذا الشعر:

فوالله ما أدري ـ وإنّي لصادق ـ إلى أيّ من يظنّني أتعـذّر ؟
أعنّفَ أن كانت زُبينة أُهلكت ونال بني لحيان شرّ فأُنفروا[1] ؟

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٣ ـ ٣٤ وفي ط صقر: ٥٣ ـ ٥٤ وبهامشه شرح الشعرين عن الأغاني ٨: ١٦١. وفي الإرشاد ٢: ٩ كتاب الحسن عليه السلام فقط. وروى ابن طاووس عن ابن عباس قال: قال لي زياد: ان كنت تريد أن يستقيم الأمر فاقتل فلاناً وفلاناً وفلاناً: ثلاثة من أصحابه ! فقلت له: أليس قد صلوا معنا الغداة ؟ قال: نعم، فقلت: فما إلى ذلك من سبيل لا والله. كشف المحجّة: ٤٦.

وكتاب ثان:

في جواب معاوية السابق على دعوة الإمام الحسن عليه السلام له إلى بيعته، قابله بدعوة الإمام إلى بيعته ووعده لذلك بوعود، وكان ينتظر جوابه، ولم يجبه الإمام، فأعاد معاوية ذلك في كتاب آخر أقصر قال: « أما بعد، فإن الله عزّ وجل يفعل في عباده ما يشاء ﴿**لاَ مُعَقِّبَ لحُكْمه وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[1] فاحذر أن تكون منيّتك على يد رعاع من الناس ! وأيأس من أن تجد فينا غميزة ! وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت، وأجزتُ لك ما شرطت ! وأكون في ذلك كما قال أعشى بن قيس:

وإن أحد أسدى إليك أمانة فأوف بها، تُدعى ـ إذا متّ ـ وافياً

ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفهُ إن كان في المال فانيا

ثمّ الخلافة لك بعدي، فأنت أولى الناس بها ! والسلام ».

فأجابه الحسن عليه السلام: «أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت» واكتفى في جوابه بكلمة واحدة: « فاتّبع الحقّ تعلم أنّي من أهله والسلام »[2].

ابن حرب يبدأ الحرب:

فلما وصل هذا الكتاب من الحسن عليه السلام إلى الشام وقرأه معاوية فهم منه أن الإمام لا يبدأه الخصام فلابدّ أن يبدأه هو، فكتب نسخة واحدة إلى عمّاله على النواحي:

من معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومَن قبله من المسلمين، سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد، فالحمد لله الذي

---

(١) الرعد: ٤١، وكأنه يزعم أن انتصاره بحكم الله القاهر جبراً.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٨، وفي مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٧: فإنّك تعلم من أهله.

كفاكم مؤونة عدوّكم وقَتلة خليفتكم ! إنّ الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعليّ بن أبي طالب رجلا من عباده ! فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين. وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم !

فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عُدّتكم، فقدأصبتم ـ بحمد الله ـ الثأر ! وبلغتم الأمل ! وأهلك الله أهل البغي والعدوان ! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاجتمعت العساكر إليه. فسار قاصداً إلى العراق حتّى بلغ مَنْبِج على الفرات[1].

خطبة الحسن عليه السلام للجهاد:

فلما وصل معاوية إلى جسر مَنْبِج جاء خبره الحسن عليه السلام فنادى مناديه: الصلاة جامعة ! وقال الإمام لأصحابه: إذا رضيتم جماعة الناس فأعلموني. وأقبل الناس يجتمعون حتّى رضوا جماعتهم فتقدّم سعيد بن قيس الهمداني للإمام بالخروج إليهم، فخرج إليهم حتّى صعد المنبر.

فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم: « أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كُرهاً ! ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[2] فلستم ـ أيّها الناس ـ نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون.

إنّه بلغني أن معاوية بلغه: أنّا كنّا أزمعنا على المسير فتحرك لذلك، فاخرجوا ـ رحمكم الله ـ إلى معسكركم بالنخيلة حتى نرى وتروا وننظر وتنظرون ».

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٨، وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٤: أن مسيره كان بعد قتل الإمام بثمانية عشر يوماً ! وفيه: أن ذلك كان بعد أربعة أشهر، وهذا هو الصحيح ! ومنبج في شرقي حلب إلى العراق بعشرة فراسخ (٥٥ كم) بناها كسرى لما غلب على الروم في الشام، فهي معرّبة عن الفارسية. كما في معجم البلدان ٥: ٢٠٥.

(٢) الأنفال: ٤٦.

فسكتوا وما تكلم منهم أحد ولا أجابه أحدهم بحرف !

فلما رأى ذلك عديّ بن حاتم الطائي قام فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله ! ما أقبح هذا المقام ! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم ! أين المسلمون ؟! أين خطباء مضر ؟ أين الخوّاضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدّعة فإن جدّ الجدّ فروّا غون كالثعالب ! أما تخافون مقت الله ؟! ولا عيبها وعارها !

ثمّ التفت إلى الإمام عليه السلام وقال له: أصاب الله بك المراشد، وجنّبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره، فقد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت. ثمّ قال: وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافيني فليواف....

فقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن خصَفة التيمي، فأنّبوا الناس وحرّضوهم، وكلّموا الإمام بمثل كلام عديّ بن حاتم بالقبول والإجابة لأمره. وقال لهم الإمام عليه السلام: صدقتم ـ رحمكم الله ـ ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول، والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً ! ثمّ نزل. وخرج عديّ من المسجد ودابّته مع غلامه بالباب، فركبها وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلح له، ومضى إلى النخيلة، فكان هو أول من عسكر من الناس.

وبعث الإمام حُجر بن عدي إلى عمّاله ليأمرهم والناس بالتهيّؤ للمسير للشام[1] حتّى يمرّ بهم.

وكأنّ ما كان، قد أشغل الإمام عن أمر موسم الحجّ لتلك السنة، وكان المغيرة بن شعبة الثقفي قد اعتزل في الطائف، وغلب على ظنّه غلبة معاوية

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٩، ومختصره في أنساب الأشراف للبلاذري ٣: ٣٥، وأشار إليه المفيد في الإرشاد ٢: ١٠، ومختصره في تنزيه الأنبياء: ١٧٠، وتلخيص الشافي ٤: ١٧٤.

على الأمر فأراد أن يتقرّب منه فافتعل كتاباً عنه إليه بإمارة الموسم وإقامة الحجّ، وتصدّى به له، وبلغه أن معاوية ولّى الموسم أخاه عتبة، فتعجّل المغيرة حتّى عرّف يوم التروية ونحر يوم عرفة استعجالا[١] وبلا مقاومة !

مسير الإمام إلى الشام ومقدّمته:

في اليعقوبي قال: أقام الحسن عليه السلام بعد أبيه شهرين، وقيل: بل أربعة أشهر[٢] يعني إلى أواخر المحرم من سنة إحدى وأربعين. وروى أبو الفرج قال:

نشط الناس للخروج فخرجوا وعسكروا، واستخلف الحسن عليه السلام على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثّهم ويُخرجهم حتّى التأم عسكر عظيم وعُدّة حسنة[٣].

ولكن الشيخ المفيد أفاد محلّلا: أن الحسن عليه السلام استنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّ معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم محكّمة (خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شُكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية: اتّبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين[٤] وكانت قلوب أكثرهم دغلة نغلة غير صافية، وقد كانوا صَبوا إلى دنيا معاوية[٥].

وروى أبو الفرج قال: سار الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعُدّة حسنة حتى أتى دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثاً حتّى اجتمع إليه الناس.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٦٠، هذا وقد عاد أبو هريرة إلى المدينة يصلّي بهم موالياً لمعاوية بلا مقاومة ! وعليه فالحَرمان أصبحا لمعاوية بلا مقاومة !

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٤.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٠، وبعضه في أنساب الأشراف ٣: ٣٦.

(٤) الإرشاد ٢: ١٠، واقتبس منه الحلبي في مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٧.

(٥) تنزيه الأنبياء: ١٧٠، وتلخيص الشافي ٤: ١٧٢.

ثمّ دعا بابن عمّه عبيد الله بن العباس، وقيس بن سعد الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني وقال لابن عباس عبيد الله: « يابن عمّ، إني باعثك ومعك اثنا عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء المصر (الكوفة) الرجل منهم يزين الكتيبة، فسر بهم، واَلن لهم جانبك وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنّهم بقيّة ثقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وسِر بهم على شطّ الفرات حتّى تصير إلى مَسْكن[١]، ثمّ امضِ حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتّى آتيك فإنّي في إثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين (يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس) فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتّى يقاتلك، فإن فعل فقاتل، فإن أُصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أُصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس » ثمّ أمره بما أراد.

وسار عبيد الله ومعه قيس وسعيد واثنا عشر ألفاً حتّى انتهى إلى شينور، ثمّ خرج إلى شاهي، ثمّ لزم الفرات حتّى بلغ مسكن، فسكن[٢].

وذكر مختصر الخبر البلاذري وقال هنا: فأخذ عبيد الله على قرية شاهي ثمّ لزم الفرات حتّى مرّ بالفلّوجة ثمّ جاز الفرات إلى دمما ثمّ أتى الأخنونية[٣] بإزاء مسكن[٤].

حيث أقبل معاوية من جسر منبج إلى الاخنونية في عشرة أيام في ستين ألفاً، وقد استخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهري. ونزل معاوية بإزاء عسكر الكوفة، ومعه القُصاص يقصّون عند وقت كلّ صلاة يحضّون أهل الشام. وقدّم

---

(١) مَسكن: كانت مساكن ريفية على نهر الدجيل في شمال غربيّ بغداد بعشرة فراسخ = (٤٨ كم) تقريباً.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٠.

(٣) أنساب الأشراف ٣: ٣٥ ـ ٣٦ وهي قبيل تكريت.

(٤) الإرشاد ٢: ١٣.

معاوية بُسر بن أبي أرطاة إلى أهل الكوفة فتناوشوا بلا قتال ولا جراح ثمّ تحاجزوا[١].

وروى أبو الفرج قال: وافى معاوية حتّى نزل بجوار قرية الحيوضية قرب مسكن، فأقبل ابن العباس حتّى نزل بإزائه. فلما كان الغد وجّه معاوية بخيله إليه، فخرج ابن العباس إليهم بمن معه، حتّى ردّهم إلى معسكرهم[٢].

هذا كلّ ما بأيدينا عن توجيه الجنود، وقد مرّ خبر نوف البكالي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قد قدّم لمسير الشام عبيد الله بن العباس هذا بعشرة آلاف، ولقيس بن سعد بعشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري بعشرة آلاف، وللحسين عليه السلام بعشرة آلاف، ولم يذكروا هذه المرّة، إلاّ قيس بن سعد مع ابن العباس معاوناً ومشاوراً فقط !

وسار الإمام إلى المدائن:

قال المفيد: وتحرّك الحسن عليه السلام وسار فمرّ بحمّام عمر ثمّ دير كعب حتّى نزل ساباط[٣] المدائن دون القنطرة إليها على دجلة وبات هناك، وبيّت عليه السلام أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له، ليتميّز بذلك أولياءه من أعدائه، فيكون بذلك على بصيرة في لقاء أهل الشام ومعاوية. فلما أصبح أمر أن ينادى في الناس بالصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلّى بهم ثمّ خطبهم فقال:

« الحمد لله بكل ما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلاّ الله كلّما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحقّ وائتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله.

---

(١) تاريخ بغداد ١: ٢٠٨، وانظر أنساب الأشراف ٣: ٣٦ في الحاشية.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤١ ـ ٤٢.

(٣) معرّب عن الفارسية: شاه آباد: معمورة الملك.

أما بعد، فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت ـ بحمد الله ومنّه ـ وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة.

ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ! ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليَّ رأيي ! غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبّة والرضا »[1] وسكت ونزل.

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وتساءلوا فيما بينهم: ما ترونه يريد بما قال ؟ وانتهى كثير منهم إلى أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلّم الأمر إليه، ورأوا رأي الخوارج أنها كبيرة، وأن مرتكب الكبيرة كافر، فهو كافر، ولا حرمة لكافر !

وكان الإمام راجعاً إلى فسطاطه جالساً على مصلاّه إذ شدّ جمع منهم على فسطاطه فانتهبوه، وشدّ عليه منهم عبد الرحمان الأزدي فنزع مطرفه عن ظهره، وسحبوا مصلاّه من تحته وتركوه بلا رداء ! ففزع إليه طوائف من خاصته و « شيعته » فقال لهم: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوهم له فأطافوا به، فدعا بفرسه أو بغلته فركبها وسار إلى مَظلم (مَظلّة = سقيفة = أيوان) ساباط، وكان قد كمن له هناك الجرّاح بن سنان الأسدي معدّاً له مِغولا (خنجراً) بيده، فلما مرّ به الإمام قام إليه وأخذ بلجام بغلته ورفع بيده مِغوله وصرخته: الله أكبر، أشركت ـ يا حسن ـ كما أشرك أبوك من قبل ! ثمّ طعنه في فخذه فشقّه حتّى بلغ العظم، فاعتنقه الحسن عليه السلام وخرّاً جميعاً إلى الأرض، فوثب إليه عبد الله بن خطل الطائي وانتزع المِغول من يده (وخضخض به جوفه) وأكبّ عليه ظبيان بن عمارة فقطع أنفه، ثمّ شدخ رأسه بالآجر حتّى قتل. وحُمل الحسن على سرير إلى دار والي

---

(١) الإرشاد ٢: ١١، ولعلّه عن مقاتل الطالبيين: ٤٠ ـ ٤١.

المدائن سعد بن مسعود الثقفي، فأقام الحسن عنده يعالج نفسه[١] وليس فيما بأيدينا تعيين تاريخ لذلك.

معاوية وابن عباس وابن سعد:

ولا تاريخ لموافقة ابن عباس لمعاوية، وإنما روى أبو الفرج قال: لما كان مساء اليوم الأول من ذلك أرسل معاوية ليلا إلى عبيد الله بن العباس (كذباً): « إن الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إليّ ! فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً ! وإلاّ دخلت وأنت تابع ! ولك إن جئتني الآن أن أُعطيك ألف ألف (مليون) درهم ! يُعجّل لك في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر » !

واقتنع عبيد الله بذلك فانسلّ هو وخاصّته في الليل إلى معاوية !

وأصبح الناس فطلبوه ليخرج فيصلّي بهم فلم يجدوه ! وعلى القرار السابق تقدّم قيس بن سعد الأنصاري فصلّى بهم، وعلم بما صنع عبيد الله فخطبهم فقال لهم: أيها الناس، لا يهولنّكم ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل الورعِ (أي الجبان) إنّ هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط ! إن أباه عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يقاتل ببدر، فأسره أبو اليَسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله، فأخذ فداءه فقسّمه بين المسلمين[٢] وإنّ هذا ولاّه عليّ على اليمن فهرب من بُسر

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤١، والإرشاد ٢: ١٢. وأنساب الأشراف ٣: ٣٧ ـ ٣٨ وزاد أن ابن أخي سعد: المختار بن أبي عبيد كان عنده فأشار على عمّه أن يسلّم الحسن عليه السلام إلى معاوية بخراج سنته ! فقال له عمّه: أنا عامل أبيه وقد شرفني وائتمنني، وهبني نسيت بلاء أبيه عليَّ أأنسى رسول الله في حبيبه وابن بنته ؟! قبّح الله رأيك. وانظر تعليق المحقّق المحمودي، وانظر علل الشرائع ١: ٢٥٩، الباب ١٦٠.

(٢) هنا جاء ذكر عبد الله بن عباس بتهمة سرقة بيت مال البصرة، ونحن لم نجد له مصداقاً فما ذكرناه.

ابن أبي أرطاة وترك وُلده حتّى قُتلوا ! وصنع الآن هذا الذي صنع ! فتنادى جمع من الناس: الحمد لله الذي أخرجه من بيننا !

وكتب معاوية إلى قيس بمثل ما كتب إلى عبيد الله، فكتب قيس إليه: لا والله لا تلقاني أبداً إلاّ وبيني وبينك الرمح ! فكتب إليه معاوية:

« أما بعد، فإنما أنت يهودي ابن يهودي (لأنه مدني !) تُشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك (الحسن عليه السلام، فهو يدلّ على عدم التسليم له) نبذك وعزلك (يشير إلى عزل علي عليه السلام له عن مصر) وإن ظهر أبغضهما إليك (معاوية) نكّل بك وقتلك (يهدّده) وقد كان أبوك (سعد بن عبادة) أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر الحزّ وأخطأ المفصل، فخذله قومه (الخزرج) وأدركهيومه فمات بحوران طريداً غريباً ! والسلام » كأنّه يعيّره به ويهدّده بمصيره ويبرّئ قاتليه !

فكتب إليه قيس بن سعد: « أما بعد، فإنما أنت وثنيّ ابن وثنيّ، من هذه الأوثان ! دخلت في الإسلام كرهاً وأقمت عليه فَرقاً (خوفاً) وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ! لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك (فهو قديم) فلم تزل حرباً لله ورسوله، وحزباً من أحزاب المشركين ! فأنت عدوّ الله ورسوله والمؤمنين من عباده !

وذكرت أبي، ولعمري ما أوتر إلاّ قوسه ولا رمى إلاّ غرضه، فشغب عليه من لا تشق غباره ولا تبلغ كعبه، وكان أمراً مرغوباً عنه مزهوداً فيه.

وزعمت أنّي يهودي ابن يهودي ! ولقد علمت وعلم الناس أني وأبي من أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه، والسلام »[١].

غدرهم وخبرهم إلى المدائن:

قال المفيد في « الإرشاد »: وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية في السرّ بالطاعة، واستحثّوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّه من عسكرهم، أو الفتك به[٢].

وروى البلاذري قال: وجعل وجوه أهل العراق يتسلّلون إلى معاوية فيبايعونه، أولهم: خالد بن معمّر السدوسي من ربيعة عن ربيعة كلّها، ثمّ عفاق بن شُرحبيل التيمي[٣] عن من معه من تيم الرباب.

وروى ابن الأعثم قال: وجعل قبائل أهل العراق يتوجّهون إلى معاوية، قبيلة بعد قبيلة حتّى خفّ عسكر ابن سعد، فلما رأى ذلك قيس كتب إلى الحسن عليه السلام يخبره بما هو فيه[٤].

قال المفيد: كان (الإمام) قد أنفذ قيس بن سعد (رضي الله عنه) مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة، وجعله أميراً على الجماعة وقال له: إن أُصبت فالأمير قيس بن سعد. فوصل كتاب ابن سعد هذا يخبره: أنّهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها: اخنوخية بإزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٢ ـ ٤٣، وقبله في أنساب الأشراف ٣: ٣٩ ـ ٤٣ وزاد: أن الرسول إلى عبيد الله كان عبد الرحمن بن سمرة العبشمي نهاراً جهاراً وليلا سرّاً، وأن ذلك كان بعد جرح الحسن عليه السلام.

(٢) الإرشاد ٢: ١٢.

(٣) أنساب الأشراف ٣: ٤١.

(٤) الفتوح ٤: ١٥٧.

يرغّبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف (مليون) درهم، يعجّل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة ! فانسلّ عبيد الله بن العباس في خاصّته في الليل إلى معسكر معاوية، وأصبح الناس وقد فقدوا أميرهم فصلّى هو بهم!

فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له... ولم يبقَ معه من يأمن غوائله إلاّ خاصّة من شيعته وشيعة أبيه... وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام[1].

وروى ابن الأعثم قال: فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب أرسل فدعا إليه وجوه من معه من عامة أصحابه وقال لهم: يا أهل العراق ! ما أصنع بجماعتكم معي، وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية ! أما والله ما هذا بمنكر منكم، لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفّين على تحكيم الحكَمين، فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم عليه، ثمّ دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم عنه حتّى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه.

ثمّ إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت ببيعتكم وخرجت في وجهي هذا والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إليّ ما كان ! فحسبي منكم لا تغرّوني[2] في ديني ونفسي[3] ثمّ لم يذكر أيّ ردّ ممّن حضر. هذا وحال الحسن عليه السلام ليس بحسن بل هو جريح طريح.

رسل السلام ومشورة الإمام:

وكأنّه اكتفى عن مشورة هولاء الخاصة بالمشورة العامّة:

---

(١) الإرشاد ٢: ١٣.

(٢) الفتوح ٤: ١٥٧.

(٣) أنساب الأشراف ٣: ٤٢ مختصراً.

قال البلاذري: كان رسول معاوية لاستجلاب عبيد الله: عبد الرحمان بن سمرة العبشمي، فردّه نهاراً جهاراً وقبله وخلا به ليلا سرّاً وصار معه إليه[١] وكأ نّه لنجاحه في مهمّته وجّه به بعده إلى الحسن عليه السلام ومعه آخر من عبد شمس هو عبد الله بن عامر ابن خالة عثمان ووالي البصرة سابقاً. فقالا له: إن معاوية قد لجّ، فننشدك الله أن تلجّ أنت فيهلك الناس بينكما، وهو يعطيك كذا وكذا ويوليك الأمر بعده[٢].

وقال المفيد: وأنفذ إليه بكتب بعض أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به أو تسليمه إليه ! واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً، كان في الوفاء بها مصالح شاملة ! وعلم الحسن عليه السلام احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بدّاً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه: من ضعف البصائر في حقّه، والخلاف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه من استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمّه له ومصيره إلى عدوّه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة[٣].

فدعا ابن عمّه عبد الله بن جعفر فقال له: إني رأيت رأياً، وإني أُحبّ أن تتابعني عليه. قال: وما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة وأُخلّي بين معاوية وبين هذا الحديث (الخلافة) فقد طالت الفتنة وسُفكت فيها الدماء، وقُطعت فيها الأرحام وقُطّعت السبل، وعُطّلت فروج (البلاد) !

فقال له ابن جعفر: جزاك الله عن أُمة محمّد خيراً، فأنا معك على هذا الحديث.

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٣٩.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٤٣ هذا ومعاوية فوق الستين والحسن دون الأربعين.

(٣) الإرشاد ٢: ١٣ ـ ١٤.

فقال له الحسن عليه السلام: فادع لي الحسين. فبعث ابن جعفر إلى الحسين فأتى أخاه الحسن فقال له:

أي أخي، إني قد رأيت رأياً، وإني أُحبّ أن تتابعني عليه، قال: وما هو ؟ فأخبره به[١].

فقال الحسين عليه السلام: يا أخي أُعيذك بالله من هذا ! فأبى الحسن عليه السلام[٢].

فلما رأى الحسين إباءه قال له: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك[٣].

وخرج من عند أخيه الحسن ضاحكاً ! فسأله مواليه فقال: أتعجّب من دخولي على إمام أردت أن أُعلّمه فقلت له: ما يدعوك إلى تسليم الخلافة ؟ فقال: الذي دعا أباك في ما تقدم[٤] أي عدم الناصر الوافر الوافي والوفيّ !

ثمّ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم:

« إنا والله ما يَثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، و (لكنّا) إنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع ! وكنتم في مسيركم إلى صفّين ودينُكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره ! فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر !

ألا وإنّ معاوية قد دعا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه إليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجل بظُبا السيوف ! وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا ؟ » وسكت.

---

(١) تاريخ ابن عساكر، الإمام الحسن عليه السلام: ١٧٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٨ مرسلا.

(٣) المصدر الأسبق لابن عساكر الدمشقي.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٠ مرسلاً، هذا وقد روى هو أيضاً عن الباقر عليه السلام قال: ما تكلم الحسين بين يدي الحسن (أي متقدّماً عليه) إعظاماً له، مناقب آل أبي طالب.

فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية[١] ونادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة[٢].

كتب وشروط للحسن عليه السلام:

روى الصدوق عن ابن بحر الشيباني: أن الحسن عليه السلام كتب من فوره ذلك إلى معاوية: « أما بعد، فإن خَطبي انتهى إلى اليأس من حقّ أُحييه وباطل أُميته ! وخَطبك خطب من انتهى إلى مراده ! وانني اعتزل هذا الأمر (الخلافة) وأُخلّيه لك، وإن كان تخليتي إياه شرّاً لك في معادك، ولي شروط أشرطها، لا تبهضّنك إن وفيت لي بها بعهد، ولا تخفّ إن غدرت. وستندم ـ يا معاوية ـ كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحقّ حين لا ينفع الندم، والسلام » وكتب الشروط في كتاب آخر يمنّيه بالوفاء وترك الغدر[٣].

وروى ذلك الكتاب والشروط بطريقه إلى يوسف بن مازن الراسبي الهمْداني قال: بايع الحسن بن علي (صلوات الله عليه) معاوية على أن لا يسمّيه أمير المؤمنين. ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقّب معاوية على شيعة عليّ شيئاً. وعلى: أن يفرّق في أولاد من قُتل مع أبيه يوم الجمل، وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف (مليون) درهم، وأن يجعل ذلك من خراج داراب جرد[٤] أي قلعة داراب الملك الساساني، في اصطخر فارس في جنوب إيران تابعاً للبصرة في جنوب العراق، ولذا طلب خراجها لورثة قتلاهم في الجمل.

---

(١) تاريخ ابن عساكر، الإمام الحسن عليه السلام: ١٧٨ ـ ١٧٩، والكامل في التاريخ ٣: ١٧٦.

(٢) أعلام الدين للديلمي: ٢٩٢ ـ ٢٩٣ مرسلاً.

(٣) علل الشرائع ١: ٢٦٠، الباب ١٦٠ عن كتاب الفروق بين الأباطيل والحقوق للشيباني.

(٤) علل الشرائع ١: ٢٤٩، الباب ١٥٩ عن كتاب الفروق بين الأباطيل والحقوق للشيباني. وفيه وجه خصوصية مالية دارابجرُد، وتفصيله في موسوعة عبدالله بن عبّاس حبر الأمّة، الخرسان ٤: ٣٧١ ـ ٣٧٣.

وقد مرّ في أخبار صفّين أن معاوية لوقف الحرب توسّل بالأشعث الكندي وهو صهر أبي بكر وعثمان، وسعى الأشعث لذلك بما قدر عليه، ومرّ في أخبار خوارج النهروان أنه سعى سعيه لصرف أمير المؤمنين عن القاسطين إلى المارقين، وقد هلك بعد أربعين يوماً من قتل علي عليه السلام [١] أي في آخر ذي القعدة سنة أربعين. وكان محمد بن الأشعث من أُم فروة أُخت أبي بكر، وهو أخو جعدة زوج الحسن عليه السلام؛ لذا اختاره الإمام هنا وجعل معه عمرو بن سلمة الأرحبي الهمداني بعث بهما مع رسولَي معاوية إليه ليعطياه ما يرضاه ويكتبا عليه الشروط. فكتب له معاوية كتاباً نسخته:

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب للحسن بن عليّ من معاوية بن أبي سفيان ! أني صالحتك على أن لك الأمر بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله محمد، وأشدّ ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد: أن لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً ! وعلى: أن أُعطيك في كلّ سنة ألف ألف (مليون) درهم من بيت المال ! وعلى أنّ لك خراج «فسا » و« داراب جرد » تبعث إليهما عمّالك وتصنع به ما بدا لك » شهد عبد الله بن عامر، وعمرو بن سلمة الهمداني، وعبد الرحمان بن سمرة، ومحمد بن الأشعث الكندي، وكتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين [٢].

وجاءه بالكتاب رسولا معاوية ابن عامر وابن سمرة العبشميان [٣].

واكتفى أبو الفرج بذكر ثلاثة من الشروط: أن لا يُتّبع أحد بما مضى. ولا يُنال أحد من « شيعة » علي بمكروه. وزاد: لا يُذكر علي إلاّ بخير [٤].

---

(١) قاموس الرجال ٢: ١٦٠ برقم ١٣٦ عن تاريخ بغداد.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) المصدر السابق ٣: ٤٥.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٣.

وعبّر المفيد عنها بقوله: ولتأكيد الحجّة على معاوية والإعذار فيما بين (الحسن) وبين (معاوية) عند الله عزّوجل وعند كافّة المسلمين: اشترط عليه: ترك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته رضي الله عنهم ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، وزاد: ويوصل إلى كلّ ذيّ حقّ حقّه. فأجابه معاوية إلى ذلك كلّه وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به، واستتمّت « الهدنة » على ذلك[1].

والعبارة السابقة من أبي الفرج:

« أن لا يُتّبع أحد بما مضى » فُصّلت في رواية الأندلسي في « الاستيعاب » قال: « اشترط عليه: أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيّام أبيه » فأجابه معاوية إلاّ أ نّه قال: أما عشرة أنفس فلا أُؤمّنهم ! فراجعه الحسن عليه السلام فيهم، فكتب إليه يقول: «إنّي قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده » ! فراجعه الحسن عليه السلام: «إنّي لا أُبايعك أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيره بتبعة، قلّت أو كثرت» فحينئذ بعث إليه معاوية برَقّ أبيض وقال له: اكتب ما شئت فيه وأنا التزمه، فاصطلحا على ذلك[2] هذا، ويأتي لاحقاً أنه أرسل الرَقّ الأبيض لقيس نفسه، وهو الصحيح. ومجموع الشروط بحذف المكرر اثنا عشرة تكاملت بداية من الحسن عليه السلام نصفها، والنصف الآخر من معاوية.

وكتاب وشرط أمان لقيس:

روى الطبري عن الزهري: أنّ الناس في الفتنة كانوا يقولون: ذوو رأي العرب ومكيدتهم ودهاة الناس خمسة رهط: معاوية، ومعه عمرو، والمغيرة.

---

(١) الإرشاد ٢: ١٤.

(٢) عن الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٣٧٠، وبهامش تاريخ ابن عساكر، الإمام الحسن عليه السلام: ١٨٥.

ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي. ومن الأنصار: قيس بن سعد الأنصاري الخزرجي وهما مع علي عليه السلام فحين فرغ معاوية من عبيد الله بن العباس ثمّ الحسن عليه السلام خلص إلى مكايدة رجل هو أهمّ الناس عنده مكايدة ! وهو قيس بن سعد، وقد أمّرتْ شرطة الخميس (الجيش) قيس بن سعد على أنفسهم وتعاهدوا على قتال معاوية حتى يشترط لمن اتّبع عليّاً عليه السلام أماناً على دمائهم وأموالهم وما أصابوا في الفتنة !

وأرسل معاوية إلى قيس يذكّره الله ويقول له: على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟! فأبى قيس أن يلين له، حتى أرسل معاوية بسجلّ قد ختم على أسفله وقال له: اكتب في هذا السجّل ما شئت فهو لك.

فلمّا بعث معاوية إليه بذلك السجلّ، اشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجلّه ذلك مالا. فأعطاه معاوية ما سأله[1].

وأولى الأخبار بالاعتبار أنّ لقاء الحسن عليه السلام بمعاوية كان في نخيلة الكوفة، فيبدو أنّه عليه السلام رجع من المدائن إلى الكوفة قبل أن يصلها معاوية.

معاوية إلى النخيلة، وبيعة الحسنين عليهما السلام وقيس وخطبهم:

تحرّك معاوية من مسكن إلى الكوفة حتّى نزل بخيله بين النخيلة ودار الرزق ومعه قرّاء أهل الشام وقُصّاصهم[2] وصار يوم الجمعة فاجتمعوا في النخيلة

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٦٣ ـ ١٦٤ وفيه: أ نّه كان معه أربعون ألفاً: وهو مبالغ فيه قطعاً اللّهم إلا أن يعني مجموع من كان مع الحسن عليه السلام وهم من قدّمهم علي عليه السلام قبيل مقتله.
(٢) أنساب الأشراف ٣: ٤٥، الحديث ٤٩.

للصلاة، وتقدم معاوية بإحضار الحسنين عليهما السلام وقيس زعيم الأنصار للبيعة له، فأُحضر الحسنان عليهما السلام.

وقد مرّ الخبر: أن قيساً لما ساومه معاوية على الصلح كتب إليه: أنه لا يلقاه إلاّ وبينه وبين معاوية الرمح وحلف على ذلك، ثمّ اشترط عليه لمن معه الأمان حتّى تخلّى عن قتاله وانصرف راجعاً إلى الكوفة.

قال أبو الفرج: فلما أرسل معاوية إلى قيس يدعوه إلى البيعة وأُتي به وأرادوا أن يُدخلوه إليه قال لهم: إني قد حلفت أن لا ألقاه إلاّ وبيني وبينه الرمح أو السيف ! وأُبلغ بذلك معاوية فأمر برمح أو سيف أن يوضع بينه وبينه ليبرّ يمينه... ثمّ وُضع له كرسي، وجلس معاوية على سريره[1].

ويظهر من خبر الكشي عن الصادق عليه السلام أنّ هذا كان بعد أخذ البيعة من الحسنين عليهما السلام، قال: قال (معاوية للحسن عليه السلام): يا حسن ! قُم فبايع ! فقام فبايع ! ثمّ قال للحسين عليه السلام: يا حسين ! قُم فبايع ! فقام فبايع ! ثمّ (لما أُدخل قيس وجلس) قال: يا قيس، قُم فبايع ! فالتفت (قيس) إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره ! فقال (له الحسين): يا قيس ! إنه ـ يعني الحسن ـ إمامي ! قال: فنظر قيس إلى الحسن عليه السلام فقال له: يا أبا محمد، بايعت ؟

فقال له معاوية: أما تنتهي ؟ أما والله إنّي... فقال له قيس: (افعل) ما شئت ! أما والله لو شئت لتناقضَنّ !

فقام الحسن إليه وقال له: بايع يا قيس[2] ! فأقبل قيس عليه وقال له: أنا في حلّ من بيعتك ! قال عليه السلام: نعم، فالتفت إليه معاوية وقال له[3] بايع، قيس !

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٧.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ١١٠، الحديث ١٧٦ ـ ١٧٧ بطريقين.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٧.

فقال له قيس: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية (بلا لقب) ولقد حرصت أن أُفرّق بين روحك وجسدك قبل هذا ! فأبى الله ـ يابن أبي سفيان ـ إلاّ ما أحب !

ثمّ أقبل على الناس وقال لهم: يا معشر الناس ! لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ والكفر من الإيمان ! فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وابن عمّ رسول ربّ العالمين ! وقد وليكم الطليق ابن الطليق ! يسومكم الخسف ويسير فيكم بالعسف ! فكيف تجهل ذلك أنفسكم ؟! أم طبع الله على قلوبكم فأنتم لا تعقلون ؟! وسكت.

فجثا معاوية على ركبتيه وأكبّ على قيس حتّى أخذ بيده وقال له: أقسمت عليك وصفق على كفّه، فتنادى الناس: بايع قيس، بايع قيس ! فقال لهم: كذبتم، والله ما بايعت[1].

فالتفت معاوية إلى الحسن عليه السلام وقال له: يا أبا محمد، إنك قد جدت بشيء لا تطيب أنفس الرجال بمثله ! فاخرج (من الخيمة) إلى الناس فأظهر ذلك لهم واعتذر ! فأبى، فأقسم عليه !

فقام وخرج إلى الناس ورقى المنبر فقام عليه وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم:

« أيها الناس، إنكم لو طلبتم بين جابلق (الغرب) وجابلس (الشرق) رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وأخي الحسين. وإنّ الله قد هداكم بأوّلنا محمد صلى الله عليه وآله وإنّ أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور ! وإنّ معاوية (بلا

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٦ ـ ٢١٧.

لقب الإمرة) نازعني حقّاً هو لي فتركته لصلاح الأُمّة وحقن دمائها ! وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وقد رأيت أن أُسالمه فبايعته[١].

إنّما الخليفة من سار بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وليس الخليفة من سار بالجور (وإنما ذلك) مَلكٌ مَلكَ ملكاً يمتّع به قليلا ثمّ تنقطع لذّته وتبقى تبعته. ثمّ تلا قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين﴾[٢] وسكت ونزل.

ثمّ تقدّم معاوية فجمّع بالناس فخطبهم خطبة طويلة لم ينقلها تامّة أحد من الرواة وإنما جاءت في الأخبار مقطّعة، وسنذكر ما انتهى من ذلك إلينا[٣]:

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: « أما بعد، فإنه لم تختلف أُمّة بعد نبيّها إلاّ غلب باطلها حقّها[٤] ثمّ إنه انتبه فقال: « إلاّ هذه الأُمّة » فإنّها وإنّها »[٥].

ثمّ روى أبو الفرج الأموي، بسنده عن عبد الرحمان بن شريك، عن أبيه شريك، عن الأعمش، عن سعيد بن سويد أنّه قال في خطبته: « إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، فإنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ! وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون » ثمّ قال شريك في حديثه: إنّ هذا لهو التهتّك !

وروى أيضاً بسنده، عن أبي إسحاق السُبيعي الهمْداني أنّه قال في خطبته: «ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميّ هاتين لا أفي به» ثمّ قال أبو إسحاق: وكان غدّاراً والله[٦].

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٤٥، الحديث ٥٠ ـ ٥١. وانظر الخطبة أطول من هذه في أمالي الطوسي: ٥٥٩ ح١١٧٣ م٩٦٢٠ وفي ترتيب الأمالي ١: ٦٠٠ وبهامشه مصادر أُخرى.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٧، والآية في الأنبياء: ١١١.

(٣) المصدر السابق: ٤٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٦.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٤٥ بطريقين عن الشعبي شاهداً.

(٦) مقاتل الطالبيين: ٤٥، ومثله في الإرشاد ٢: ١٤.

ولكن غيره ـ كالبلاذري ـ نقله معلّلا وبلا تصريح باسم الإمام عليه السلام قال: قال في خطبته: «ألا إني كنت قد شرطت في الفتنة شروطاً، أردت بها (الأُلفة ووضع الحرب) ألا وإنها تحت قدمي !».

وفي آخر قال: وقد كنت شرطت شروطاً ووعدت عدات ومنّيت أماني ! لما أردت من إطفاء نار الفتنة وقطع الحرب ومداراة الناس وتسكينهم.

ثمّ نادى بأعلى صوته: ألا وإني طلبت بدم عثمان، فقتل الله قاتليه وردّ الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام ! ألا إنّ ذمّة الله بريئة ممّن لم يخرج فيبايع ! ألا وإنا قد أجّلناكم ثلاثاً ! فمن لم يبايع فلا ذمّة له ولا أمان عندنا ! قال الراوي: فأقبل الناس من كلّ أوب يبايعونه[1].

وهذا أولى، وأقرب وأنسب.

وهنا نقل المعتزلي، عن المدائني: أن المسيَّب بن نجَبة الفَزاري دخل على الحسن عليه السلام وقد صاهرهم فقال له:

ما ينقضي عجبي منك ! بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً[2] أعطاك أمراً فيما بينه وبينك، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعقداً ظاهراً ! ثمّ قال ما سمعت ! والله ما أراد بما قال غيرك (فلم يصرّح به).

فقال له الحسن عليه السلام: فما ترى ؟ فقال: أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه فقد نقض ما كان ؟

فقال له الحسن عليه السلام: يا مسيّب، إني لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر منّي عند اللقاء، ولا أثبت منّي للحرب ! ولكنّي أردت أن يكفّ بعضكم

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٤٧، الحديث ٥٤ و: ٥٠، الحديث ٥٥.

(٢) لم نجد هذا العدد فيما مرّ من أخبار التاريخ إلاّ في من قدّمهم عليّ عليه السلام قبيل مقتله، فلعلّه يقصدهم.

عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه حتى يستريح برّ (الحسن) أو يستراح من فاجر (معاوية)[١].

معاوية في جامع الكوفة:

كان خالد بن عُرفطة العُذري محالفاً لبني زهرة وأسلم وصحب النبي صلى الله عليه وآله، وكان على عهد علي عليه السلام بوادي القرى، وقيل: مات، فدخل رجل جامع الكوفة وعلي عليه السلام على المنبر، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد مات خالد بن عرفطة بوادي القرى فاستغفر له، فقال عليه السلام: مَه إنّه لم يمت، ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن حمّاد ! وكان حبيب حاضراً وسمع الكلام فقام وقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمّاد وأنا لك محبّ ومن « شيعتك » فقال عليه السلام: فإنّه كما أقول ! وإيّاك أن تحملها ؛ ولتحملنّها وتدخل بها من هذا الباب ! الباب الذي سمّي فيما بعد ذلك باب الفيل[٢].

وكأنّ خالد بن عُرفطة الصحابي أصبح من صحابة معاوية في دخوله إلى الكوفة.

قال أبو الفرج: ودخل معاوية الكوفة وبين يديه خالد بن عُرفطة ومعه رجل يقال له حبيب بن حمّاد يحمل رايته حتّى دخل الكوفة فصار إلى المسجد فدخل من الباب (الذي سمّي فيما بعد بباب الفيل) واجتمع الناس فخطبهم معاوية فذكر عليّاً والحسن ونال منهما ! والحسنان حاضران، فقام الحسين ليردّ عليه فأخذ الحسن بيده وأجلسه، ثمّ قام هو فقال لمعاوية:

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٤ ـ ١٥ عن المدائني، واختصر الخبر الحلبي في مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٦، ونحوه في الإرشاد ١: ٣٢٩، والاختصاص: ٢٨٠ مع تطبيق غير دقيق بل لا يليق. وكذا في بصائر الدرجات ١: ٣١٨. وروي الخبر ابن شاذان في الإيضاح: ٦٩ عن أُم حُكيم الخولية بلا ذكر لحبيب.

أيها الذاكر عليّاً ! أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر ! وأُمي فاطمة، وأُمك هند ! وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّك حرب ! وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة ! فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً ! فقال طوائف من الناس: آمين ! آمين !

روى أبو الفرج الأموي هذا الخبر بسنده وفيه أبو عبيد ويحيى بن مَعين، فروى أبو عبيد: أنّ الراوي يحيى بن معين قال: ونحن نقول: آمين، وقال أبو عبيد: ونحن أيضاً نقول: آمين، وقال أبو الفرج: وأنا أقول: آمين[1] ! فعدم ذكره عليّاً عليه السلام بالسوء أوّل الشروط نقضاً !

المعترضون على صلح الإمام عليه السلام:

لم نقف على ذكر لحُجر الكندي فيما مرّ من الأخبار، ولعلّه كان مع عبيد الله بن العباس ثمّ قيس بن سعد ورجع معه، فقد نقل المعتزلي، عن المدائني: أنه دخل مع آخر من كندة هو عبيدة بن عمرو مضروباً مجروحاً في وجهه في مناوشات أصحاب قيس مع عسكر معاوية في مسكِن، فلما رآه الإمام عليه السلام سأله: ما الذي أرى بوجهك ؟ قال: أصابني هذا مع قيس.

ثمّ التفت حُجر إليه وقال له: لوددت أنك كنت متّ قبل هذا اليوم ومتنا معك ولم يكن ما كان ! فقد رجعنا راغمين بما كرهنا، وهم مسرورون بما أحبّوا ! وكان الحسين عليه السلام إلى جنبه فرأى الحسن قد تغيّر وجهه من كلام حجر، فغمزه فسكت.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٦، وكلام الإمام الحسن عليه السلام أرسله المفيد في الإرشاد ٢: ١٥، بلا إسناد. وعن نفحة اليمن: ٦٣: أن ذلك كان في المدينة سنة (٤٩ هـ) كما في الإمام المجتبى للمصطفوي: ٢١٩. ولعلّه أولى وأقرب.

ثمّ قال الحسن لحُجر: يا حُجر ؛ ليس كلّ الناس يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك، وما فعلت ما فعلت إلاّ إبقاءً عليك (وأمثالك) والله كلّ يوم في شأن[1].

وروى الكشي بسنده، عن الباقر عليه السلام قال: جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن أبي ليلى (الهمْداني) على راحلة له حتّى دخل على الحسن عليه السلام وهو محتب في فناء داره، فوقف وسلم عليه فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين ! فأجابه الحسن وقال له: انزل ولا تعجل ! فنزل وعقل راحلته وأقبل يمشي حتّى انتهى إلى الإمام فقال له: ما قلت ؟ قال: قلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين ! قال: وما علمك بذلك ؟ قال: عمدت إلى أمر الأُمّة فخلعته من عنقك وقلّدته هذه الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله !

فقال له الحسن عليه السلام: سأُخبرك لم فعلت ذلك، سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « لن تذهب الأيام والليالي حتّى يلي أمر الأُمّة رجل واسع البلعوم رحب البطن يأكل ولا يشبع » قال (علي عليه السلام): وهو معاوية، ثمّ قال الحسن: فلذلك فعلت (الذي فعلت).

ثمّ سأله: ما جاء بك ؟ قال: حبّك ! قال: الله ! قال: الله ! فقال الحسن عليه السلام: «والله لا يحبّنا عبد أبداً ولو كان أسيراً في الديلم إلاّ نفعه الله بحبّنا، وإنّ حبّنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما تساقط الريح الورق من الشجر»[2].

ونقل المعتزلي، عن المدائني: أن الإمام قال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رفع له ملك بني أُمية فنظر إليهم يعلون منبره واحداً فواحداً ! فشق ذلك عليه، فأنزل الله

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٥ عن المدائني، وعليه فلم يكن هذا في مجلس معاوية كما قيل.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ١١١، الحديث ١٧٨، وفي: ٩ الحديث ٢٠ روى عن الكاظم عليه السلام: أن سفيان بن أبي ليلى الهمداني من حواري الحسن عليه السلام يوم القيامة. وعليه فلا يصح ما جاء في تذكرة السبط: ١٨١ عن الكلبي: أنه كان من الخوارج ! وعنه في حياة الحسن عليه السلام للقرشي ٢: ٢٣٠.

تعالى في ذلك قرآناً قال له: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[1] وسمعت عليّاً أبي رحمه الله قال لي: إنّ القرآن قد نطق بملك بني أُمية ومدتهم إذ قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] قال أبي: هذه ملك بني أُمية ! وسيلي أمر هذه الأُمة رجل واسع البلعوم كبير البطن ! فسألته: من هو ؟ قال: معاوية !

ولما أخذ الحسن عليه السلام يتجهّز للشخوص إلى المدينة دخل عليه المسيّب بن نجبَة الفزاري ومعه ظَبيان بن عُمارة التيمي ليودّعاه، فقال الحسن عليه السلام: الحمد لله الغالب على أمره (حتّى) لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا !

وكان الحسين عليه السلام حاضراً وكان قد علم باعتراض المسيّب سابقاً، فكأنه أراد أن يسكنّه فقال: لقد كنت أنا كارهاً لما كان، طيّب النفس على سبيل أبي، حتّى عزم عليَّ أخي فأطعته وكأنما يُجذّ أنفي بالمواسي !

فكأنّ المسيّب أراد أن يعتذر عن اعتراضه السابق فقال: والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلاّ أن تُنتقصوا وتضاموا ! فأ مّا نحن فإنّهم سيبطلون مودّتنا بكلّ ما قدروا عليه. ولكنه مع ذلك عرض على الحسن عليه السلام الرجوع عن عهده مرة أُخرى ! فقال عليه السلام: ليس إلى ذلك سبيل !

ثم قال له الحسين عليه السلام: يا مسيّب، نحن نعلم أنك تحبّنا !

فروى الحسن عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أحبّ قوماً كان معهم»[3].

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) القدر: ٣.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٦ عن المدائني.

الإمام في مجلس معاوية:

ذكر في « تذكرة الخواص » عن أهل السير: أن الإمام أقام يتجهّز إلى المدينة، وبلغ ذلك أصحاب معاوية: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة، وعتبة بن الوليد بن عتبة المخزومي فقالوا لمعاوية: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة قبل مسيره إلى المدينة، لنخجله ! وألحّوا عليه.

فأرسل معاوية إلى الحسن واستزاره. فلما حضر تحدثوا فتناولوا عليّاً عليه السلام بمرأى ومسمع من الحسن عليه السلام، وسكت حتّى فرغوا من كلامهم الفارغ، فلما فرغوا بدأ الحسن عليه السلام.

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله ثمّ قال لهم:

إن الذي أشرتم إليه بايع البيعتين وصلّى إلى القبلتين، وأنتم بالجميع مشركون وبما أنزل الله على نبيّه كافرون !

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتّى أنزل الله فيه: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ**﴾[1].

ووصفه الله بالإيمان فقال: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[2] والمراد به أمير المؤمنين.

وقال له رسول الله: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى**» و«**أنت أخي في الدنيا والآخرة**».

وأنت ـ يا معاوية ـ قد علمت الفراش الذي عليه ولدت ! وكنت يوم بدر.. تقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت الذي كنت تنهى أباك عن الإسلام حتّى قلت مخاطباً إياه (بعد بدر):

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) المائدة: ٥٥.

يا صخر لا تُسلمن طوعاً، فتفضحنا بعد الذين (ببدر) أصبحوا مَزَقاً

وكنت في أُحد والخندق والمشاهد كلها تقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله ونظر النبيّ إليك يوم الأحزاب فرأى أباك على جمل يحرّض الناس على قتاله، وأخوك يقود الجمل وأنت تسوقه، فقال: « **لعن الله الراكب والقائد والسائق**» وما قابله أبوك في موطن إلاّ ولعنه وكنت معه، وقال رسول الله في حقك: «**اللهم لا تُشبعه**».

ثمّ التفت إلى عمرو بن العاص وقال له: وأما أنت يابن النابغة ! فقد ادّعاك خمسة من قريش وغلب عليك ألأمهم، وهو العاص، وفيك نزل: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[1] فأنت عدو الله ورسوله وعدو المسلمين، وكنت عليهم أضرّ من كلّ مشرك، وأنت القائل:

ولا أنثني عن بني هاشم بمااسطعت في الغيب والمحضر

وعن عائب اللات لا أنثني ولولا رضا اللات لم نُمطَر

وأما أنت يا وليد ؛ فلا ألومك في بغض أمير المؤمنين، فإنّه قتل أباك صبراً، وجلدك في الخمر لما صلّيت بالمسلمين الفجر سكراناً وقلت: أزيدكم ؟! وقد سمّاك الله في كتابه فاسقاً وسمّى أمير المؤمنين مؤمناً في قوله: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ**﴾[2] ثمّ أنشد شعر حسّان فيه وفي أمير المؤمنين.

---

(١) الكوثر: ٣.

(٢) السجدة: ١٨.

ثمّ قال: وأما أنت يا عتبة (بن الوليد المخزومي) فلا ألومك في أمير المؤمنين، فإنه قتل أباك (الوليد) يوم بدر ثمّ شرك في دم ابن عمّك شيبة. وهلاّ أنكرت على من وجدته في فراشك مع عُرسك حتّى قال فيك نصر بن الحجّاج:

نُبّئت عُتبة هيّأته عُرسه ... لصداقة الهُذلي من لِحيان

ألفاه معها في الفراش ! فلم يكن ... فحلا ! وأمسك خشية النسوان

لا تعتبن يا عُتب نفسك حبّها ... إن النساء حبائل الشيطان

ثمّ قام الحسن عليه السلام ونفض ثوبه وانصرف[1].

ويبدو أنّ معاوية بن حُديج الكندي قاتل ابن أبي بكر بمصر كان مع ابن العاص ومع ابن أبي سفيان اليوم في كوفان، وبلغ الإمام عليه السلام أن ابن حُديج شتم عليّاً عليه السلام عند معاوية، فقال لمولى له كان معه: أتعرف معاوية بن حُديج ؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيته فأعلمني. ومرّ يوماً بدار عمرو بن حُريث فرآه المولى خارجاً من دار عمرو، فقال للإمام: هو هذا ! فدعاه الحسن عليه السلام وقال له: أنت الشاتم عليّاً عند ابن آكلة الأكباد ! أما والله لئن وردت الحوض ـ ولا يرده ـ لَتَرينّه مشمّراً عن ساقيه حاسراً عن ذِراعيه يذود عنه المنافقين !

ولقى يوماً حبيب بن مَسلمة الفِهري القرشي من قادة معاوية فقال له: يا حبيب، ربّ مسير لك في غير طاعة الله !

فقال معتزّاً بالإثم: أما مسيري إلى أبيك (في صفّين) فليس من ذلك !

قال الإمام: بلى والله، ولكنّك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك لقدقعد بك في آخرتك ! ولو كنت إذ فعلت شرّاً قلت خيراً كان ذلك

---

(١) تذكرة الخواص: ٢: ٢٧ ـ ٣١ وبهامشه مصادر أخرى عديدة. وفي: ٢: ٤٢ قال: وقيل: إن القصّة جرت بالشام. وشرح المثالب فيها عن كتاب المثالب للكلبي في: ٢: ٣٢ ـ ٤٧، وقد طُبع ونُشر.

كما قال الله عزّ وجل: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[١] ولكنّك كما قال الله سبحانه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

الحسين عليه السلام والمعترضون:

ويوم وقف الحسين عليه السلام على الغلمان يأمرهم بحمل متاعهم التقى به جندب ابن عبد الله الأزدي وسعيد بن عبد الله الحنفي وسليمان بن صُرد الخزاعي والمسيّب بن نجبة الفزاري وعليهم ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة، فلما رأى ما بهم من ذلك ذكر لهم كراهية للصلح وقال: لكنت طيب النفس بالموت دونه ! ولكن أخي عزم عليَّ وناشدني فاطعته وكأ نّما يحزّ أنفي بالمواسي ويشرّح قلبي بالمُدى ! وقد قال الله عزّ وجل: ﴿وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣] وقال: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فيه خَيْراً كَثِيراً﴾[٤] و ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا﴾[٥] و﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[٦].

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) المطفّفين: ١٤، والخبران في أنساب الأشراف ٣: ١٣ و١٤، الحديث ٩ و١٠ عن المدائني بسنده، وعنه في شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٨، وفي مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٨ مرسلاً.
ولم يدم العمر بالفهري بعد هذا كثيراً حتّى وجّهه معاوية إلى أرمينية سنة (٤٢ هـ). فمات بها، كما عن الاستيعاب ١: ٣٢٧، وعليه فلا يصح أن ذلك كان في المسجد النبوي بالمدينة سنة حجّ معاوية، فسيأتي أن ذلك كان سنة (٤٤ هـ) أي بعد هلاك ابن حُديج بعامين، وانظر مسند الإمام المجتبى للعطاردي: باب ٥٨.

(٣) البقرة: ٢١٥.

(٤) النساء: ١٩.

(٥) الأحزاب: ٣٧.

(٦) الأحزاب: ٣٨.

فعَرض عليه سعيد وسليمان الرجوع عن الصلح ! فقال: هذا ما لا يكون ولا يصلح !

فقال له الأزدي: والله ما بنا إلاّ أن تُضاموا وتنتقصوا، فأمّا نحن فإنا نعلم أن القوم سيطلبون مودتنا بكلّ ما قدروا عليه، ولكن حاش لله أن نؤازر الظالمين ونظاهر المجرمين ونحن لكم « شيعة » ولهم عدوّ ! وقال الخزاعي: هذا كلامنا كلّنا. فقال الحسين عليه السلام: بررتم وصدقتم رحمكم الله.

فقالوا: فمتى أنت سائر ؟ قال: غداً إن شاء الله. فخرجوا معهم إلى دير هند[1] من الحيرة.

الإمام، وفراق العراق:

روى الطبري، عن عُوانة بن الحكم: أن الإمام عليه السلام لما عزم على فراق العراق خرج إلى مسجد الكوفة وخطبهم فقال لهم: يا أهل الكوفة، اتّقوا الله في جيرانكم وضيفانكم، وفي « أهل بيت » نبيّكم صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فأخذ الناس يبكون. ثمّ تحمّلوا إلى المدينة[2].

وقال البلاذري: شخص الحسن عليه السلام إلى المدينة، وشيّعه معاوية إلى قنطرة الحيرة.

وخرج خوارج على معاوية مع ابن الحوساء الطائي، فبعث معاوية بكتاب إلى الحسن يأمره فيه أن يرجع فيقاتل الخوارج عليه. فلحقه الرسول بالكتاب في

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٥٣ الحديث ١٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٦٥ ولا يخفى ما في الخبر من دلالة على معنى أهل البيت في الآية.

القادسية، فلما قرأ الكتاب أبلغه: تركتُ قتالك ـ وهو لي حلال ـ لصلاح الأُمة وأُلفتهم، أفتراني أُقاتل معك[١] ؟!

وفي اليعقوبي: أن فروة بن نوفل الأشجعي كان قد اعتزل من خوارج (النهروان) سنة (٤٠) إلى شهرزور في جمع منهم حتّى صار في ألف وخمسمئة ! فلما بلغه قتل علي عليه السلام وغلبة معاوية أقبل فيهم إلى النخيلة، فوجّه معاوية إليه خيلا من أهل الشام، فهزمهم ! فألزم معاوية أهل الكوفة بالخروج إليهم فخرجوا إليه خوفاً وقاتلوه حتّى قتلوه[٢].

وروى الخبر الطبري، عن عُوانة وفيه: أنه خرج إليه قومه من أشجع، ومن طيِّئ واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحرّ الطائي، حتّى أخذ الأشجع صاحبهم فروة وقتل[٣].

وأكمل الخبرين المبرّد في « الكامل » فجمع بينهما قال: كان حوثرة الأسدي بمن معه من الخوارج في بندنجين، وحابس الطائي بجمعه في موضع آخر، فلما حلّ معاوية بنخيلة الكوفة كتب حوثرة إلى حابس يسأله أن يتولّى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه فيتعاضدا على جهاد معاوية، فأجابه، فرجعا إلى نخيلة الكوفة. فوجّه معاوية إلى الحسن في طريقه إلى المدينة أن يرجع إليه فيتولى حرب الخوارج فأجابه الحسن عليه السلام: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين... أفأُقاتل عنك قوماً أنت أولى بالقتال منهم[٤] !

ولما صار بدير هند نظر إلى الكوفة فتمثل بقول القائل:

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٤٨ ـ ٤٩، الحديث ٥٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٤) الكامل للمبرّد ٣: ١٣٣.

ولا عن قلى فارقت دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري[١]

ولا نعثر في خلال أخبار صلح الحسن عليه السلام على أي خبر عن عبد الله بن العباس بالبصرة، حتّى نرى الطبري يروى عن أبي عبيدة: أنه لما تمّ الصلح حمل مالا قليلا من بيت المال وقال: هي أرزاقي[٢]. وعنه في تعبير آخر: أنه حمل معه مقدار ما اجتمع عنده من الأرزاق. ثمّ دعا أخواله بني هلال ومعهم سائر قيس، فحمل ثقله إلى مكة، فلحقه جمع من أخماس البصرة بموضع الطفّ، يريدون استرداد المال وهو قليل، فلما تواقفوا للقتال تراجع صُبرة الحُداني الأزدي بقومه لعلمه بقلة المال، فتبعهم بكر وعبد القيس، وتراجع عنه الأحنف بن قيس التميمي بجمع منهم، وأصرّ آخرون منهم فتقاتلوا وكثر الجراح بينهم بلا قتيل، ورجع عليهم جمع من الأخماس فردّوهم عنهم، فمضى ابن عباس ومعه عشرون رجلا من بني هلال حتّى قدم مكة[٣].

هذا وقد ردّه السيّد الخرسان إلى أنّها بالعمدة كانت من جباية دارابجرد التي شرطها واستثناها الحسن عليه السلام من معاوية، فحملها ابن عبّاس للحسن عليه السلام[٤].

عاملا الشام على العراقين:

وكان مع معاوية عمرو بن العاص وابنه عبد الله وقدم عليه المغيرة بن شعبة بعد وصول معاوية باثنتي عشرة ليلة[٥]، فاستعمل معاوية على الكوفة عبد الله بن

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٦ عن المدائني، وعليه فهو يحنّ إلى الكوفة ولا يدينها بالمرّة.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٤٣.
(٣) المصدر السابق ٥: ١٤٢، ولم يذكر شيء عن بيعته لمعاوية. وهذا هو الأصل في إتهامه باختلاس بيت مال البصرة !
(٤) موسوعة عبدالله بن عبّاس حبر الأُمّة ٤: ٣٣٦ ـ ٣٧٤ وفيه تاريخ خروجه من البصرة ٤: ٣٧٦ واستخلافه عليها عبدالله بن الحرث بن نوفل الهاشمي الأب والأموي الأم، في الدرجات الرفيعة: ١١٩.
(٥) الغارات ٢: ٦٤٥.

عمرو، فأتاه المغيرة وقال له: استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وأبوه على مصر، فتكون بين لحيَي الأسد ! فعزل عبد الله واستعمل المغيرة. وبلغ مقالة المغيرة لمعاوية إلى ابن العاص، فدخل على معاوية وقال له: استعملت المغيرة على الكوفة ؟ قال: نعم، قال: أجعلته على الخراج والصلاة ؟ قال: نعم، قال: تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال ويذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً ؟! استعمل على الخراج من يتّقيك ويخافك ويهابك ! فحصر معاوية أمارة المغيرة في الكوفة في الصلاة فلقى المغيرة عمرواً فسأله: أنت المشير على أمير المؤمنين ! بما أشرت به في عبد الله ؟ قال: نعم، فقال: هذه بتلك[1] !

ولما ولّى معاوية المغيرة الكوفة دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال له: أما بعد.. فقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، وتركتها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسدّد سلطاني ويصلح رعيتي، ولكني لست أترك إيصاءك بخصلة: لا تحجم عن الترحّم على عثمان والاستغفار له وعن الإطراء على شيعة عثمان وإدنائهم والاستماع منهم. وعن شتم علي عليه السلام وذمّه وعيب أصحابه وترك الاستماع منهم بل وإقصائهم !

فقال المغيرة: قد عملت قبلك لغيرك فلم يدمّ فيّ دفعاً ولا رفعاً ولا وضعاً، وستبلو فتحمد أو تذم. فقال معاوية: بل نحمد إن شاء الله !

فكانت مقالته (المكرّرة في خطبه): اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه، واجزه، بأحسن عمله، فإنه عمل بكتابك واتّبع سنّة نبيك ! وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوماً ! اللهمّ فارحم أنصاره وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه ! فلا يدع الدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، وذمّ علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٦٦ عن عوانة بن الحكم، ولو كان ذلك فإنما لفترة لا دائماً.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٤ عن الكلبي، عن أبي مخنف، عن الشعبي وهو يمدح المغيرة.

أما البصرة: فإنها لما غادرها ابن عباس، كان بها من موالي عثمان: حمران بن أبان، وحيث كان مولى عثمان وقد تغلّب العثمانيون، تغلّب هذا على البصرة فضولا[١].

وعزم معاوية أن يبعث على البصرة أخاه عتبة بن أبي سفيان، وكان عبد الله ابن عامر بن كريز الفهري ابن خالة عثمان عامله على البصرة حين مقتله، وعلم بعزم معاوية، فقام إليه وقال له: يا أمير المؤمنين ! إنّ عثمان هلك وأنا عامل البصرة، وعزلني علي عليه السلام فجعلت أموالي ودائع عند الناس، فإن أنت لم تولّني البصرة ذهب مالي الذي في أيدي الناس ! فولاّه البصرة ولكنّه سرّح معه بسر بن أبي أرطاة في جيشه[٢] وكان يهمّ معاوية أمر زياد بن عبيد الثقفي وهو في اصطخر فارس، فأمر معاوية بسراً بقتل أبناء زياد[٣].

الأشعري وأبو هريرة في الكوفة:

قال الثقفي: لما قدم معاوية النخيلة اجتمع إليه فيها أشياعه ومن كان يهوى هواه، فأتاه المغيرة بن شعبة من الطائف ـ بعد اثنتي عشرة ليلة ! ـ وعبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري من مكة، فلما جاءه قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين ! قال: وعليك السلام، وعلم معاوية أنه جاءه يطمع في ولاية، فلما تولّى قال معاوية: والله لا يلي هذا على اثنين حتى يموت !

ودخل أبو هريرة المسجد وأخذ يحدثهم يقول: قال رسول الله، وقال أبو القاسم، وقال خليلي !

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٦٧ عن النميري البصري.

(٢) الغارات ٢: ٦٤٥ ـ ٦٤٦.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٦٧ عن النميري البصري.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد ناشد جمعاً من الصحابة برحبة المسجد الجامع بالكوفة عن حديث الغدير، وكان هناك شاب من أبناء الأنصار في الكوفة، فقام إلى أبي هريرة وتخطّى الناس حتّى دنا منه فقال له: يا أبا هريرة ! حديث أسألك عنه، فإن كنت سمعته من النبيّ صلى الله عليه وآله فحدّثنيه، أنشدك بالله ! سمعت النبيّ يقول لعلي: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**» ؟ قال أبو هريرة: نعم والله الذي لا إله إلاّ هو لسمعته من النبيّ يقول لعلي: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**» ! فقال له الفتى: لقد والله واليت عدوّه وعاديت وليّه !

فتناول بعض الناس الشاب بالحصى ! وقام أبو هريرة فخرج من المسجد ولم يعد إليه[١].

بسر في البصرة في رجب (٤١ هـ)[٢] وأبناء زياد:

وأقبل بسر إلى البصرة فصعد المنبر في جامعها وقال: الحمد لله الذي أصلح أمر الأُمة ! وجمع الكلمة[٣] وأدرك لنا بثأرنا ! وكفانا مؤونة عدوّنا ! ألا إن الناس آمنون، ليس في صدورنا على أحد ضغينة ولا نأخذ أحداً بأخيه... ألا إنّ الله طلب بدم عثمان فقتل قاتليه ! وردّ الأمر إلى أهله ! ثمّ نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمّة الله بريئة ممّن لم يبايع ! فأقبلوا يبايعونه[٤].

---

(١) الغارات ٢: ٦٥٦ ـ ٦٥٩. ونقل المعتزلي في شرح النهج ٤: ٦٧ عن الإسكافي، عن الأعمش، عن أبي هريرة حديثاً في لعن علي عليه السلام وفي آخره فأجازه معاوية وولاّه إمارة المدينة !

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٦٨ عن المدائني البصري.

(٣) وهكذا دعوا ذلك العام: عام الجماعة !

(٤) الغارات ٢: ٦٤٦.

ثم ذكر عليّاً عليه السلام فقال: أنشدكم الله، أتعلمون أن عليّاً كان كافراً منافقاً ؟! فسكت الناس، فردّ عليهم قوله وقال: ألا ترون أناشدكم ؟!

وكان فيهم أبو بكرة بن عبيد الثقفي أخو زياد، ممّن رأى رسول الله وسمع حديثه، وممّن شهد على المغيرة الثقفي بالزنا فضربه عمر، فقام إلى بسر وقال له: أما إذ ناشدتنا فلا نعلم أنه كان كافراً ولا منافقاً ! فأمر بسر جلاوزته بضربه فضربوه حتّى كادوا أن يقتلوه ! فوثب بنو السِيد من ضبّة فاستنقذوه من أيديهم[1].

وكان معاوية على عهد علي عليه السلام قد كتب إلى زياد يدعوه إليه ويعده ويوعده، فكتب زياد في جوابه: أما بعد، فقد بلغني كتابك يابن بقية الأحزاب ! وابن عمود النفاق ! وابن آكلة الأكباد! أتهدّدني وبيني وبينك ابن عمّ رسول الله في سبعين ألفاً، سيوفهم قواطع ! وايم الله لئن رمت ذلك منّي لتجدني أحمر (أي مولى) ضرّاباً بالسيف !

فأجابه معاوية: أما بعد، فقد بلغني كتابك، وايم الله لئن بقيت لأُكافئنّك !

---

(١) الغارات ٢: ٦٥٠ ـ ٦٥١، وروى الطبري ٥: ١٦٧ ـ ١٦٨ عن المدائني البصري: أن بسراً شتم علياً عليه السلام ثمّ قال: نشدت الله رجلا علم أني صادق إلاّ صدّقني ! أو كاذب إلاّ كذّبني ! فقام أبو بكرة وقال له: اللهم إنا لا نعلمك إلاّ كاذباً ! فأمر به جلاوزته فخنقوه، فقام أبو لؤلؤة الضبّي فرمى بنفسه عليه فأنقذه، فأقطعه أبو بكرة مئة جريب ! ونقل ابن الأعثم كلام أبي بكرة أنه قال له: كذبت يا عدوّ الله، قد كان علي بن أبي طالب خيراً منك ومن صاحبك الذي ولاّك علينا ! ونسب الشتم إلى عمرو بن أبي أرطاة أخي بسر، وأنه أمر جلاوزته به فخلّصه رجل من بني ضبّة ثمّ غيّبه الناس فلم يقدروا عليه. الفتوح ٤: ١٦٨ وعليه فهذا المقام والكلام لم يكن أول دخوله البصرة، بل بعد ذلك بفترة، لما يأتي.

وكان زياد عاملاً لعلي عليه السلام على فارس... فلما بلغه قدوم عبد الله بن عامر أميراً على البصرة دخل قلعة بفارس فنزلها وتحصّن بها حتى سمّيت باسمه قلعة زياد[1].

(١) الغارات ٢: ٦٤٦ ـ ٦٤٨، وقد مرّ خبر الكتاب عن ابن مزاحم في وقعة صفين: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ بلا تاريخ، وبلا ذكر سبب أو مناسبة. ورواه الطبري ٥: ١٧٠ عن النميري البصري عن المدائني البصري عن الشعبي: أن ذلك كان بعد عهد علي عليه السلام، وكذلك نقله اليعقوبي مرسلا ٢: ٢١٨: لما صار الأمر إلى معاوية. وليس فيه ما نقله عنه الأرموي في هامش الغارات ٢: ٦٤٧، واختلف مضمون الكتاب والخطاب باختلاف الأخبار بين عهد عليّ وعهد الحسن عليه السلام، وأكثرها على الأخير وهو الأقرب والأنسب، وعليه فلا يرجّح ما جاء أعلاه وفي نهج البلاغة ك: ٤٤ من كتاب علي عليه السلام إليه في ذلك. وفي تفسير الأحمر بالمولى ـ كما نصّ نصر بن مزاحم في وقعة صفين: ٣٦٧ ـ جاء عن ابن خلّكان في وفيات الأعيان في ترجمة يزيد بن المفرّغ الحميري: أن أبا الجبر يزيد بن عمر بن شراحبيل كان من ملوك كندة في اليمن فتغلّب عليه قومه (وكانت اليمن في حكم الفرس الساسانيين) فخرج إلى كسرى في بلاد فارس يستنصره عليهم بجيش معه. فبعث معه جيشاً من الأساورة فأقبلوا معه على طريق أهواز فالبصرة (القديمة) فقرية الكاظمة على ثغر الصحراء فاستوحشوا من بلاد العرب وقلة خيرها، فتواعدوا مع طبّاخه ودسّوا إليه سمّاً فتوجّعت بطنه شديداً، فطلب الأساورة منه أن يكتب لهم إلى كسرى بتسريحهم عنه، فكتب لهم ذلك ورجعوا عنه.

وكان كسرى قد وهب له عبداً وجارية سمّاهما عبيداً وسميّة، فاحتمل معهما إلى طبيب العرب في الطائف: الحارث بن كلدة الثقفي، فعالجه وأحسّ بتحسّن فوهبهما له، وكان عقيماً فزوّجهما فولدت منه أربع بنين: نافعاً ونفيعاً وهو أبو بكرة وزياداً ونُسبوا إلى الحارث ! وشبلا ونسب إلى معبد الثقفي، وارتاد إليها أبو سفيان فنسب زياد إليه. وزياد قبل أن ينتسب إليه كان ينتسب إلى عبيد، وكأ نّه كان يراه فارسياً، وكان العرب يكنّون عن الفرس بالحمر فقال عن نفسه: أحمر. وكأ نّه خفي هذا الخبر عن بعضهم فقرؤوه: أحمز وفسروه بالأشدّ ! كما في الطبري (٥: ١٧٠) خلافاً لنصّ نصر بن مزاحم وكان الحارث كاتباً فلعل زياداً استزادها منه، وكان في ثقيف ولعلّه لمعرفته بشيء من أُمور العجم استكتبه المغيرة الثقفي في البصرة، فلم يشهد عليه بالزنا حتّى ضرب إخوته الثلاثة حدّ القذف !

ووثب بسر على بني زياد: عبيد الله وسالم ومحمد فأوقفهم[١] وكتب بسر إلى زياد: أن أقدم عليّ وإلاّ قتلت ولدك !

فكتب زياد إليه: والله لا أُمكّنك من نفسي ولو قتلت ولدي صبية لا ذنب لهم، فأبعد لا والله.

فخرج عمّهم أبو بكرة الثقفي من البصرة إلى الكوفة إلى معاوية على برذون له في ثلاثة أيام، حتّى قدم على معاوية فدخل عليه[٢] وقال له:

السلام عليك يا أمير الفاسقين ولا رحمة الله ولا بركاته ! اتّق الله يا معاوية، واعلم أنك في كلّ يوم يزول عنك وليلة تأتي عليك، لا تزداد من الدنيا إلاّ بعداً ومن الآخرة إلاّ قرباً، وعلى إثرك طالب لا تفوته قد نصب لك علَماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلَم، وما أوشك ما يلحقك الطالب، إنّ ما نحن وأنت فيه زائل، وإن الذي نحن إليه صائرون باق، إن خير وإن شرّ، فنسأل الله الخير ونعوذ به من الشرّ،سكت وجلس لا يتكلم.

فقال له معاوية: يا أبا بكرة، أزيارتنا أشخصتك أم حاجة حدثت لك ؟

قال: لا والله لا أقول باطلا، ولكنّها حاجة بدت لي قِبلك.

قال: فهات حاجتك، فما أحبّ إلينا ما يسرّك ! قال: أريد أن تؤمّن أخي زياداً. قال: هو آمن على نفسه[٣] فقال له أبو بكرة: فهل بايعناك على أن تقتل الأطفال ؟! قال: فما ذلك يا أبا بكرة ؟ قال: هذا بسر يريد أن يقتل بني زياد[٤] ! قال معاوية: ولكن في يده مال فارس ! قال أبو بكرة: إنه يزعم أنه يدفع ما كان

---

(١) الغارات ٢: ٦٤٨.

(٢) الغارات ٢: ٦٥١ ـ ٦٥٢.

(٣) الغارات ٢: ٦٤٩ ـ ٦٥٠.

(٤) الغارات ٢: ٦٥٢.

في يده من حقوق المسلمين وإنه ليطلب صلحك. قال: وكم هذا المال ؟ قال: خمسة آلاف، قال: فقد أمّنته ورضيت منه بهذا المال. قال: فاكتب إلى بسر فليخلّ سبيل بني أخي فإنه قد حبسهم (يريد قتلهم) فكتب إليه: أما بعد، فإن أبا بكرة أتاني والتمس لأخيه الأمان على ما أحدث ! والصلح على ما في يديه، فخلّ سبيل بني أخيه حين يقدم عليك، والسلام[١].

فرجع أبو بكرة بكتاب معاوية إلى بسر، في ثلاثة أيام، فلما وصل إلى مربد البصرة مات برذونه من الإرهاق، وكان بسر قد أمر بخشب الصلب فنصبت لأبناء زياد ليصلبهم عند الغروب فرفع أبو بكرة كتاب معاوية إلى بسر بيده يلوّح به حتّى بلغ بسراً قبل الغروب، فخلّى سبيلهم[٢] وأخذ يتتبّع كلّ من كان له بلاء مع علي عليه السلام أو كان من أصحابه، وكلّ من أبطأ عن بيعة معاوية، فينهب أموالهم ويخرب دورهم ويحرقها[٣] ثمّ عاد بعد ستة أشهر إلى معاوية[٤]. وقد مرّ أن بعثه إلى البصرة كان في رجب سنة إحدى وأربعين فبعد ستة أشهر يعني إلى آخر تلك السنة، ولذلك قال في ابن عامر أنه قدمها في آخر سنة إحدى وأربعين، وإليه خراسان وسجستان، فولّى حبيب بن شهاب الشامي شرطته، واستقضى عميرة بن يثربي الضبّي.

وحجّ بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان أو أخوه عنبسة وجعل على مكة خالد بن العاص المخزومي، وعلى المدينة مروان بن الحكم[٥].

---

(١) الغارات ٢: ٦٥٠.

(٢) الغارات ٢: ٦٥٢، وانظر الطبري ٥: ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٣) الغارات ٢: ٦٥٣.

(٤) الطبري: ١٦٨.

(٥) تاريخ الطبري ٥: ١٧٠ ـ ١٧١.

معاوية والروم:

وكأنّ الروم راموا اغتنام غياب أصحاب معاوية عن ثغر الشام فجمعوا جموعاً كثيرة وأعدّوا منهم خلقاً عظيماً لذلك، وعاد معاوية إلى الشام قبل نهاية العام فبلغه ذلك، وخاف أن يشغله أمرهم عمّا كان يحتاج إليه من إحكام وإبرام وتدبير للأُمور، فوجّه إلى الروم فصالحهم على أن يقدّم لهم مئة ألف دينار ! وذلك في أوّل سنة (٤٢ هـ)[١].

والشام أرض مقدّسة وهو كاتب الوحي!:

روى الواقدي قال: لما عاد معاوية من العراق خطب فقال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله (كذا) قال لي: « إنك ستلي الخلافة من بعدي ! فاختر الأرض المقدّسة ! فإن فيها « الأبدال » وقد اخترتكم ! فالعنوا « أبا تراب » فلعنوه !

وفي غده كتب كتاباً ثمّ جمعهم فقرأه عليهم وفيه: « هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله (كذا) فكان الوحي ينزل على محمّد وأنا أكتبه وهو لا يعلم ما أكتب ! فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه ! » فقال من حضره: صدقت يا أمير المؤمنين !

وبذل لسمرة بن جندب مئة ألف درهم ليروي: أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[٢] وأن الآية التالية نزلت في ابن

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٧، وانظر تاريخ خليفة: ١٢٥.
(٢) البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

ملجم وهي قوله سبحانه: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1] فلم يقبل فضاعفها مئتي ألف درهم فلم يقبل، فضاعفها ثلاثمئة فلم يقبل، فضاعفها أربعمئة فقبل وفعل ما أراد[2].

وأمر زياد ومعاوية:

روى الطبري، عن النميري البصري، عن المدائني البصري: أن زياداً أقام في قلعته أكثر من سنة (بعد الصلح) ولم يقدم على معاوية، فكتب إليه: أن أقدم عليّ فأعلمني علم ما صار إليك مما اجتبيت من الأموال وما خرج من يدك وما بقي عندك، فإن أحببت المقام عندنا أقمت، وإن أحببت أن ترجع إلى مقامك أو مأمنك رجعت وأنت آمن.

وعن المدائني عن أبي مخنف: أن زياداً خرج من فارس إلى معاوية مع المنجاب بن راشد الضَبّي، وحارثة بن بدر الغُدّاني، وبلغ ذلك معاوية، فسرّح عبد الله بن خازم السلمي من البصرة في جماعة إلى فارس وقال له: لعلّك تلقى زياداً في طريقك فتأخذه، فلقيهم في أرّجان أو سوق الأهواز، فكانت بينهم منازعة، فقال زياد: قد أتاني أمان معاوية وهذا كتابه إليّ فأنا أُريده. فقال ابن خازم: إن كنت تريده فلا سبيل عليك[3] وتركه.

وكان أخوه لأُمّه أبو بكرة الثقفي منذ استشهد زياداً على زنا المغيرة بن شعبة في البصرة، وحضر زياد مع الشهود عند عمر ولكنه لما رأى كراهة عمر لتلك

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٤: ٧٢ ـ ٧٣ عن الإسكافي، عن الواقدي، وسيأتي لاحقاً ما في خبر وفاته من عبرة بعد ولايته البصرة.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٧٨ ـ ١٧٩.

الشهادة لم يتمّها، فحدّ عمر أبا بكرة حدّ القذف، كان أبو بكرة قد أقسم على نفسه أن لا يكلّم أخاه زياداً أبداً فكان مقاطعاً له[١]، ولكنه لم يمنع أبو بكرة ابنه عبد الرحمان أن يلي أموال عمّه زياد بالبصرة فكان يتولاّها، وبلغ ذلك إلى معاوية، وكان يرى ابن عامر ضعيفاً غير شديد، فبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن يسير إلى البصرة فيعذّب عبد الرحمان ليسلّم إليهم أموال زياد، فقدم المغيرة البصرة وأخذ عبد الرحمان فألقى على وجهه حريرة مبلّلة فكانت تلتزق بوجهه فتخنقه ويغشى عليه، فعل ذلك ثلاث مرّات ! ثمّ خلاّه وقال له: لئن كان أساء إليّ أبوك فلقد أحسن لي زياد ! فاحتفظ بما أمرك به عمّك ! وكتب إلى معاوية: إني لم اُصب في يد عبد الرحمان شيئاً يحلّ لي أخذه، وعذّبته فلم أجد عنده شيئاً ! وبذلك حفظ لزياد منّته عليه[٢] !

واليوم أمر زياد ابن أخيه عبد الرحمان أن يتقدمه إلى معاوية فيخبره بقدوم زياد إليه، ففعل. ثمّ قدم زياد الشام، فسأله معاوية عمّا صار إليه من أموال فارس فأخبره فصدّقه[٣].

زياد وابن عباس في الشام:

نفتقد ابن عباس بعد عودته من البصرة إلى مكة حتّى نجده في خبر المعتزلي عن المدائني: أنه وفد على معاوية فجمع له معاوية المغيرة بن شعبة وزياد بن سمية فذلك بعد لحوقه بالشام هذا العام (٤٢ هـ) وعمرو بن العاص فذلك قبل هلاكه سنة (٤٣ هـ) وابنه يزيد، وأخاه عتبة بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الرحمان بن أُم الحكم وقال لهم: إنه قد طال

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٨٨ عن الجاحظ.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٧٦ ـ ١٧٧ عن المدائني البصري.
(٣) الطبري ٥: ١٧٨ عن المدائني.

العهد بعبد الله بن عباس وما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمّه (علي عليه السلام) ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه. فحرِّكوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ونقف على كنه معرفته، ونعرف شبا حدّه ودهاء رأيه، فربمّا وُصف المرء بغير ما هو فيه وأعطي من النعت والاسم ما لا يستحقه.

ثمّ أرسل إلى ابن عباس، فلما استقرّ به المجلس ابتدأه معاوية فقال: يابن عباس، ما منع عليّاً أن يوجّه بك حكماً ؟ وكان ابن العاص حاضراً فقال ابن عباس: أما والله لو فعل لقرن عمراً بصعبة من الإبل، ولأذهلت عقله وقدحت في سويداء قلبه، فلم يبرم أمراً إلاّ كنت منه بمرأى ومسمع، بأصالة رأي كمتاح الأجل أصدع به أديمه وأفلّ به شبا حدّه، وأُزيح به شبه الشاكين.

فالتفت ابن العاص إلى معاوية وقال له: يا أمير المؤمنين ! هذا والله نجوم أول الشر ! وفي حسمه قطع مادته، فبادره بالحملة وانتهز منه الفرصة، واردع بالتنكيل به غيره وشرّد به من خلفه !

فأجابه ابن عباس: يابن النابغة ! ضلّ والله عقلك وسفه حلمك ونطق الشيطان على لسانك ! هلاّ تولّيت ذلك يوم صفّين حين دعيت إلى النزال وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح وتقصّفت الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين عليه السلام مصاولا فانكفأ نحوك بالسيف حاملا، فلما رأيت الكواشر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتك ! وكشفت له خوف بأسه سوأتك ! ثمّ أشرت على معاوية بمبارزته، رجاء أن تكفى مؤونته وتعدم صورته، فعلم غلّ صدرك وما انحنت عليه من النفاق أضلعك.

فانبرى مروان مدافعاً عن ابن العاص فقال لابن عباس: يابن عباس، إنّك لتصرف أنيابك وتورى نارك، كأنك ترجو الغلبة وتؤمل العافية ! ولولا حلم أمير

المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منهلا بعيداً صدره، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذنّ بعض حقّه منكم ! ولئن عفا عن جرائركم فقديماً ما نسب إلى ذلك.

فالتفت إليه ابن عباس وقال له: وإنّك لتقول ذلك يا عدوّ الله وطريد رسول الله ! والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيّته بما حملهم على قطع أوداجه وركوب أثباجه ! أما والله لو طلب معاوية (كذا) ثاره لأخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوّله وآخره ! (إلى قوله له): فاربع على ضلعك، ولا تتعرّض لما ليس لك، فإنك كالمغروز في صفد لا يهبط برجل ولا يرقى بيد !

فقال زياد: « يابن عباس، إنّي لا أعلم ما منع حسناً وحسيناً من الوفود معك على أمير المؤمنين ! إلاّ ما سوّلت لهما أنفسهما وغرّهما به من هو عند البأساء سلّمهما (ولعلّه يعنيه) وايم الله لو ولّيتهما لأدأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما، ولقل لبثهما بمكانهما » يعرّض بهذا لمعاوية أن يولّيه المدينة. ويُعلم منه أنهما عليهما السلام ما وفدا قبل هذا إلى الشام.

فقال ابن عباس: إذن والله يقصر دونهما باعك، ويضيق بهما ذراعك، ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صُدُقاً صُبُراً على البلاء ولا يخافون عند اللقاء، فلعركوك بكلا كلهم ووطؤوك بمناسمهم، وشفار سيوفهم ووخز أسنتهم، حتّى تشهد بسوء ما أتيت وتبيّن ضياع الحزم فيما جنيت ! فحذار حذار من سوء النيّة فتكافأ بردّ الأُمنية، وتكون سبباً لفساد ذين الحيّين (هاشم وأُمية) بعد صلاحهما، وساعياً في اختلافهما بعد ائتلافهما ! (ولم يكن بعد مستلحقاً فلم يعيّره به).

فقال ابن أُم الحكم: لله درّ ابن ملجم ! فقد أمن الوجل حتّى بلغ الأمل ! وأدرك الثار ونفى العار ! وفاز بالمنزلة العليا ورقى الدرجة القصوى ! هذا ومعاوية يرى ويسمع وهو ساكت راض !

فقال ابن عباس: أما والله لقد كرع كأس حتفه بيده وعجّل الله إلى النار بروحه، ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته لخالطه ذلك الفحل القحم والسيف الخذم، ولألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة (أخي معاوية) وكلّهم كانوا أشد منه شكيمة وأمضى عزيمة، ففرى بالسيف هامهم ورمّلهم بدمائهم، وقرى الذئاب ! أشلاءهم وفرّق بينهم وبين أحبّائهم ! ولا وصمة إن قتل (عليّ) ولا غرو إن خُتل.

فقال المغيرة بن شعبة: أما والله لقد أشرتُ على عليّ بالنصيحة (بإبقاء معاوية) فآثر رأيه ومضى على غلوائه ! فكانت العاقبة عليه لا له، وإنّي لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه.

فقال ابن عباس: كان أمير المؤمنين عليه السلام والله أعلم بوجوه الرأي ومعاقد الحزم وتصريف الأُمور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه وعنّف عليه فقال سبحانه: ﴿**لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ...**﴾[1] ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوّة قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**﴾[2] وهل كان يسوغ له أن يحكّم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولا موثوق به في نفسه ؟! هيهات هيهات ! هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلاّ « للتقيّة » ولات حين « تقية » مع وضوح الحقّ وكثرة الأنصار وثبوت الجنان ؟! فهو يمضي كالسيف المصلت في أمر الله مؤثراً لطاعة ربّه والتقوى على آراء أهل الدنيا[3].

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٢٩٨ ـ ٣٠٢، وللخبر تتمة بين ابن عباس ويزيد وأبيه معاوية.

زياد مع المغيرة في الكوفة:

لو كان معاوية بعد استسلام زياد يردّه إلى عمله في اصطخر فارس لما كان يعرّض له في الخبر السابق بتولية المدينة على الحسنين (عليهما السلام) والهاشميين، ولم يرجّحه معاوية على مروان للمدينة، وكان المغيرة بن شعبة حاضراً ولعلّه استحضر معه زياداً إلى الكوفة، فسأل زياد معاوية أن يأذن له بنزول الكوفة فأذن له فشخص إليها. ثمّ كتب معاوية إلى المغيرة: خُذ زياداً وسُليمان بن صُرد الخُزاعي وحُجر بن عديّ الكندي وشبث بن ربعي اليربوعي التميمي وعبد الله بن الكوّاء اليشكري الهمداني وعمرو بن الحمق الخزاعي بالصلاة معك في الجماعة، فاستحضرَهم المغيرة فكانوا يحضرونه[1].

ومرّ في أخبار صفين أن عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعيط الأموي كان قد مكث في الكوفة يتجسّس لمعاوية، وتزوّج المغيرة ابنته أُم أيّوب، فكان يُدخل معه زياداً إليها وتريدأن تستتر منه فيقول المغيرة لها: لا تستتري من أبي المغيرة، يريد زياداً[2] !

معاوية وعمرو وابن جعفر:

واستمرّ عمرو عند معاوية، فروى المعتزلي عن الشعبي: أن عمراً كان قد وفد على معاوية يسأله حاجة عظيمة، فتشاغل عنه ثمّ قال له: يا عمرو، بماذا تستحق منّا قضاء الحوائج العظام ؟

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٧٩ عن النميري البصري عن المدائني البصري عن أبي مخنف الكوفي.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٨٠ عن النميري البصري عن المدائني، وتمامه: فلما مات المغيرة ودخل زياد الكوفة أميراً تزوّجها وأحضر لها فيلا لتنظر إليه، وأوقفه عند باب من أبواب المسجد فسمّى باب الفيل.

فغضب عمرو وقال له: بأعظم حقّ وأوجبه ! إذ كنت في بحر عجّاج، فلولا عمرو لغرقت في أقلّ مائه وأرقّه، ولكنّي دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ثمّ دفعتك أُخرى فصرت في الأعلى ! فمضى حكمك ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجلجه ! وأضاء وجهك بعد ظلمته ! وطمست لك الشمس (عليّاً عليه السلام) بالعهن المنفوش، وأظلمت لك القمر (علياً عليه السلام) بالليلة المدلهمّة !

فما كان من معاوية إلاّ أن أطبق جفنيه وتناوم ملياً حتّى خرج عمرو ! فاستوى وقال لمن حوله: أرأيتم ما خرج من فم الرجل ! ما عليه لو عرّض وفيه ما يكفي ! لكنّه جبّهني بكلامه وسموم سهامه !

فقال له بعض جلسائه: قد يكون السائل لئيماً فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضي حاجته !

فبعث معاوية على عمرو وقضى حاجته بصلة جليلة وانصرف فتلا معاوية: ﴿**فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾[1] وسمعها عمرو فالتفت إليه مغضباً وقال: والله يا معاوية ! لا أزال آخذ منك قهراً ولا أُطيع لك أمراً ! وأحفر لك بئراً تقع فيه فلا تدرك إلاّ رميماً ! فضحك معاوية وقال: إنما هي آية من كتاب الله عرضت بقلبي فتلوتها يا أبا عبد الله وما أردتك بالكلمة[2] !

وتبع عبد الله بن العباس: عبد الله بن جعفر الطيار إلى معاوية في الشام، ومعه عمرو.

فروى المعتزلي عن المدائني قال: بينا عمرو بن العاص عند معاوية إذ أخبر الآذن بدخول عبد الله بن جعفر، فقال عمرو: والله لأسوءنّه اليوم !

---

(١) التوبة: ٥٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٢٩٤ ـ ٢٩٥ عن الشعبي الكوفي.

وقال له معاوية: لا تفعل يا أبا عبد الله ! فإنك لا تنصف منه ! ولعلك تظهر لنا ما هو خفيّ عنا من منقبته.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ودخل ابن جعفر فأدناه معاوية وقرّبه إليه. فمال عمرو إلى بعض جلسائه فنال من عليّ عليه السلام جهاراً وثلبه ثلباً قبيحاً ! فالتمع لون ابن جعفر واُرعد وقام كالجمل الفحل من السرير والتفت إلى معاوية وحسر عن ذراعيه وقال له: يا معاوية (كذا) حتّامَ نتجرّع غيظك ؟! وإلى كم الصبر على مكروه قولك ؟! وسيِّئ أدبك ! وذميم أخلاقك ! هبلتك الهبول (فقدتك الثاكل) فإذا لم تكن لك حرمة من دينك تنهاك عمّا لا يجوز (من شتم عليّ) أما يزجرك زمام المجالسة عن القذع لجليسك ؟! أما والله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حاميت عن سهمك في الإسلام ما أرعيت بني الإماء (ابن العاص) أعراض قومك ! وما يجهل موضع الصفوة إلاّ أهل الجفوة ! فلا يدعونّك تصويب ما فرط من خطائك في سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين، إلى التمادي في ما قد وضح لك الصواب في خلافه ! فاقصد لمنهج الحقّ فقد طال عمهك عن سبيل الرشد ! وخبطك في بحور ظلمة الغيّ ! فإن أبيت أن تتابعنا بقبح اختيارك لنفسك، فأعفنا من سوء القالة فينا إذا ضمّنا وإياك النادي وشأنك وما تريد إذا خلوت، والله حسيبك !

ثم قال له: فوالله لولا أنّ ما جعل الله لنا هو في يديك لما أتيناك !

فقال معاوية: يابن جعفر ! أقسمت عليك لتجلسنّ، فلعن الله من أخرج ضبّ صدرك من وِجاره ! محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما أمَّلت ! وإن خلقك وخُلقك شافعان لنا إليك، وأنت ابن ذي الجناحين ! وسيد بني هاشم !

فقال عبد الله: كلاّ بل سيد بني هاشم حسن وحسين لا ينازعهما أحد في ذلك... ثمّ انصرف.

فالتفت معاوية إلى عمرو وقال له: يا أبا عبد الله أتراه ما منعه من الكلام معك ؟ أظُنُّك تقول: إنه هاب جوابك ! لا والله ! ولكنّه ازدراك واستحقرك ولم يرك للكلام أهلا ! أما رأيت إقباله عليَّ دونك ! ونهض معاوية وتفرق القوم[١].

وابن درّاج على الخراج والصفايا وهدايا النوروز والمهرجان:

مرّ الخبر عن المغيرة أ نّه غيّر رأي معاوية في استعماله عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة، فصرفها عنه إلى المغيرة، وظنّ به ابن العاص ذلك فحذّر معاوية أن يولّي المغيرة غير الصلاة على الأموال. وكان من موالي معاوية رجل يدعى عبد الله بن درّاج وتدرّج هذا لديه حتّى ولاّه خراج العراق وأمره أن يحمل إليه أموالها، فاستدرج ابن درّاج بعض الدهاقين حتّى أعلموه أنه: كان لآل كسرى سوى ما كان يجري مجرى الخراج: صوافي يجتبون أموالها لأنفسهم، فكتب بذلك إلى معاوية، فكتب إليه: أن أحص تلك الصوافي واستصفها لي واضرب عليها المسنيّات. فسأل الدهاقين عن ديوان ذلك فأخبروه أنه كان في حلوان، فبعث من يأتيه به وأُتي به، فاستخرج منه كل ما كان لآل كسرى وضرب عليها المسنيّات واستصفاها لمعاوية، فبلغت جبايته من أرض الكوفة وسوادها: خمسين ألف ألف (مليون) درهماً ! وأمره أن يحمل إليه هداياهم في عيدي النوروز والمهرجان[٢] فكانت عشرة آلاف ألف.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٢٩٥ ـ ٢٩٧ عن المدائني البصري.

(٢) النوروز: أي اليوم الجديد في رأس السنة الفارسية، والمهرجان معرّب: مهرگان: اليوم الأول من شهر مهر في منتصف السنة الفارسية، ثم أُطلقت الكلمة على الاحتفالات الكبرى.

وكأنه حسن حال عبد الرحمان بن أبي بكرة الثقفي البصري ابن أخي زياد عند معاوية، واستضعف ابن عامر في ذلك، فكتب إليه بمثل ذلك في أرض البصرة[١] فتلك من أوّليات معاوية: أن استعمل في الإسلام النوروز والمهرجان من أعياد الفرس طمعاً في أموالهم ! فكرهوه وحكمه.

أجل، جمع كل ذلك، ومنع ما اشترط عليه الحسن عليه السلام من خراج فسا ودارابجرد لأبناء شهداء الجمل وصفين كما مرّ.

فقد روى البلاذري: أن معاوية قد أمر ابن عامر أن يغري أهل البصرة ليقولوا: ما جعله معاوية للحسن (كذا) أنقص أعطياتنا، وهذا المال مالنا فكيف يصرف إلى غيرنا ؟! فضجّ أهل البصرة بذلك ! وكان الحسن عليه السلام قد أرسل رسله إلى الكورتين فطردوهم، فأبدله معاوية عن ذلك بألف ألف (مليون) درهم، أو ألفي ألفي (مليونين) درهم من خراج إصفهان[٢].

واختصر الخبر ابن سعد في « الطبقات » وعنه ابن كثير في « تاريخ دمشق » عن الشعبي وغيره: أن معاوية دسّ إلى أهل البصرة فقالوا لوكيل الحسن عليه السلام: لا تحمل فيئنا إلى غيرنا ! يعنون خراج فسا ودارابجرد، وطردوه ! فأجرى معاوية له كل سنة ألف ألف (مليون) درهم[٣].

واكتفى الطبري عن عوانة بقوله: حال أهل البصرة بينه وبين خراج دارابجرد وقالوا: هو فيئنا[٤] ! فأكمله ابن الأثير في كامله بقوله: وكان منعهم بأمر معاوية[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٨.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٥١ ـ ٥٢، الحديث ٥٦.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، الإمام الحسن عليه السلام: ١٧٦ بتحقيق المحمودي.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ١٦٥.

(٥) الكامل في التاريخ ٣: ١٦٢.

ولما فرغ عبد الله بن خازم السلمي البصري من تعقيب زياد بن عبيد في أوائل سنة (٤٢) وعاد إلى البصرة، ضمّه ابن عامر إلى عبد الرحمان بن سمرة ووجّه به لفتوح خراسان، فاتجّه إلى بلخ وبعد حرب شديدة افتتحها، ثمّ صار إلى كابل فحاصرها ليالي حتّى توصّل إلى بوّابها، فجعل له شيئاً ليفتح الباب ففتحه، فأدخل الحرب إلى المدينة حتّى طلبوا إليه الصلح، فصالحهم ابن سمرة، ثمّ خلف في خراسان ابن خازم وانصرف هو إلى البصرة[١].

وأمّر معاوية لموسم الحجّ هذه السنة (٤٢) أخاه عنبسة[٢].

موسم الحج والاحتجاج على الحسن عليه السلام:

مرّ الخبر قبل قليل عن أمر معاوية للمغيرة بإلزام زعماء الشيعة في الكوفة: سليمان بن صرد وعمرو بن الحمق الخزاعيّين مع حُجر بن عَدي الكندي بحضور صلاة الجماعة مع المغيرة، فلعلّ هذا ونحوه من المضايقات حملتهم على أن اجتمعوا في موسم الحجّ بعد نحو سنتين من الصلح بالحسن عليه السلام في المدينة.

فقال له سليمان: ما ينقضي تعجّبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء وهم على أبواب منازلهم ! ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز، ثمّ لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ولا حظّاً من العطية ! فلو كنت ـ إذ فعلت ما فعلت ـ أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق (العراق) والمغرب (الشام) وكتبت عليه كتاباً بأن الأمر لك بعده، كان الأمر علينا أيسر ! ولكنّه أعطاك شيئاً بينك وبينه ! ثمّ لم يلبث أن قال على رؤوس الأشهاد: « إني كنت شرطت شروطاً ووعدت عدات، إرادة لإطفاء نار الحرب، ومداراة لقطع الفتنة ! فأمّا إذ جمع الله لنا الكلمة والأُلفة فإنّ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٧ ـ ٢١٨.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٨٠.

ذلك تحت قدميّ » ! والله ما عنى بذلك غيرك ولا أراد بذلك إلاّ ما كان بينه وبينك، وقد نقضه.

فإذا شئت فأعد الحرب جذعة (رأساً)، وأذن لي في تقدّمك إلى الكوفة فأُخرج عنها عاملها (المغيرة) وأُظهر خلعه، وننبذ إليه على سواء ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[1].

ثمّ تكلّم الباقون بمثل كلامه.

ثمّ تكلّم الإمام عليه السلام فقال لهم: أنتم شيعتنا وأهل مودّتنا، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربص وأنصب، لما كان معاوية بأشدّ منّي بأساً، ولا أسدّ شكيمة ولا أمضى عزيمة. ولكنّي أرى غير ما رأيتم، ولا أردت بما فعلت إلاّ حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله وسلّموا لأمره، والزموا بيوتكم وكفّوا أيديكم، حتّى يستريح برٌّ (الإمام) أو يُستراح من فاجر (معاوية)[2].

هذا ما رواه أبو مخنف الكوفي، وعنه الكلبي، وعنه البلاذري والمرتضى، وأرسله الدينوري معاصر البلاذري وزاد:

مع أن أبي كان يحدّثني: أن معاوية سيلي الأمر ! فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر، إن الله لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

وقد نقل أول الخبر سلامه عليه بقوله: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين ! فهنا زاد:

---

(١) الأنفال: ٥٨، يستدل بها للزوم النبذ إليه أي إعلان الحرب دون المفاجأة.

(٢) تنزيه الأنبياء: ١٧١ ـ ١٧٢ عن عباس بن هشام، عن أبيه هشام الكلبي، عن أبي مخنف بسنده، وقال: وهذا كلام منه عليه السلام يشفي الصدور ويذهب بكل شبهة. وبالسند نفسه في أنساب الأشراف ٣: ٥٢، الحديث ٥٧.

وأما قولك « يا مذلّ المؤمنين » ! فوالله لئن تذلّوا وتعافوا أحبّ إليّ من أن تعزّوا وتقتلوا ! فإن ردّ الله علينا حقّنا في عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنّا رضينا وسألنا الله أن يبارك لنا في صرفه عنّا. فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وكأنّ ابن صرد أصرّ على عدم الاستسلام لكلام الإمام، ظانّاً الفرق في الموقف بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام، فخرج من عند الحسن ودخل على أخيه الحسين عليهما السلام وعرض عليه ما عرضه من قبل وأخبره بردّ الحسن غير مقتنع به.

فقال لهم الحسين عليه السلام: إنها بيعة كنت ـ والله ـ لها كارهاً ! ثمّ كرّر عليه أمر أخيه لهم فقال: (ولكن) ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم[1] فعلموا أن الحسين يتصاغر لإمامه وأخيه الأكبر الحسن عليهما السلام.

ولعلّ هذا ونحوه بلغ معاوية ناقصاً فأراد أن يختبر الإمام هل في نفسه الإثارة لذلك فدسّ إليه دسيساً هو جُبير بن نُفير الحضرمي الشامي، كما جاء في رسالة محمد بن بحر الشيباني في « علل الشرائع » للصدوق، ووصفه بالشامي جاء في « تاريخ دمشق » قال: قلت للحسن: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة ! فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثمّ أُريدها ـ أو قال: ـ أُثيرها بأهل الحجاز ؟! أو قال: بأتياس الحجاز[2] ؟!

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٦٣ ـ ١٦٥، وفيه: ومعك مئة ألف مقاتل ! تحريفاً منفرداً به.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٥٣، الحديث ٥٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر، الإمام الحسن عليه السلام: ٢٠٥ الحديث ٣٣١ و٣٣٢. وفي علل الشرائع ١: ٢٥٨ آخر باب ١٥٩ قال: يا تيّاس أهل الحجاز، وفسّر ⇐

عقيصا وعويص أمر الصلح:

مرّ الخبر عن « وقعة صفين » في نبع العين لأمير المؤمنين عن أبي سعيد عقيصا من موالي تيم كان معه عليه السلام، ويبدو لي أ نّه بعد ذلك سكن المدينة، فروى الصدوق بسنده عنه قال:

قلت للحسن بن علي عليه السلام: يابن رسول الله، لمَ داهنت معاوية وصالحته ؟ وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه، وأن معاوية ضالّ باغ ؟!

فقال لي: يا أبا سعيد، ألست حجّة الله «تعالى ذكره » على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي ؟ قلت: بلى. قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[1] قلت: بلى. قال: فأنا ـ إذن ـ إمام لو قمت، وأنا إمام ـ إذن ـ لو قعدت.

يا أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية: علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة، وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، وأُولئك كانوا كفاراً بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل.

يا أبا سعيد ؛ إذا كنت إماماً من قبل الله « تعالى ذكره » لم يجب (أو: يجب أن لا) يسفّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً. ألا ترى الخضر لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى فعله ـ لاشتباه وجه الحكمة عليه ـ حتّى أخبره، فرضي. هكذا أنا؛ سخطتم

⇒

التياس بأنه الذي يبيع عسيب التيس أي ماء الفحل منه. وهو غير مناسب للمخاطب الحضرمي الشامي وليس الحجازي.

(١) احتجّ الإمام عليه السلام هنا بهذا الحديث النبوي الشريف، ولم يحتجّ قط بما رووه عن الصحابي أبي بكرة الثقفي عنه صلى الله عليه وآله قوله في الحسن: « ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين طائفتين أو فئتين من أُمتي » ولو صحّ عنه ذلك لكان أولى بالاحتجاج به، ممّا يدلّ على اختلاقه ووضعه على لسانه كذباً.

عليَّ بجهلكم وجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك أحد من « شيعتنا » على وجه الأرض إلاّ قتل[١].

وروي أيضاً عنه: أن بعض الناس لامه على بيعته لمعاوية فقال لهم:

ويحكم ! ما تدرون ما عملت ! والله للذي عملت خير « لشيعتي » مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أ نّي إمامكم ومفترض الطاعة عليكم، وأحد «سيدي شباب أهل الجنة» بنصّ من رسول الله عليَّ ؟ قالوا: بلى[٢].

قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام، كان ذلك مسخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله « تعالى ذكره » حكمة وصواباً !

ثمّ أضاف: أما علمتم أنه ما منّا أحد إلاّ وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلاّ القائم الذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم عليه السلام، فإنّ الله يخفي ولادته، ويغيِّب شخصه، لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. وذلك (هو) التاسع من ولد أخي الحسين، (وهو) ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته ثمّ يظهره بقدرته في صورة شابّ دون أربعين سنة! ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير[٣].

وعليه فالخبران من البوادر الأُولى في تقرير عقيدة الشيعة في الإمامة[٤].

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، الباب ١٥٩، الحديث ٢.

(٢) يعود هنا الكلام السابق في الحديث السابق، فلو صحّ حديث الفئتين أو الطائفتين لكان نصّاً في شرعية الصلح وصحّته، ولا نراه احتجّ به أبداً، وإنما اختلقوه ووضعوه لذلك كذباً.

(٣) كمال الدين ١: ٣١٦ بسنده عن حنان بن سدير الصيرفي الكوفي مولى الأزد، ووصف الرجل في الرجال أنه توقّف عن إمامة الرضا عليه السلام، فلم يكن يستدلّ بما يرويه من هذا الخبر على دوام الإمامة حتّى التاسع من ولد الحسين عليه السلام!

(٤) وللتفصيل يراجع كتاب عقيدة الشيعة في الإمامة للمرحوم الشيخ محمد باقر شريعتي النجفي رحمه الله.

هل حجّ ابن العاص ولقى الإمام عليه السلام؟:

ذلك أن عمراً لم يعمّر بعد عودته إلى فسطاطه بمصره بعد هدنة الإمام عليه السلام إلاّ أقل من ثلاث سنين، إذ توفّي في عيد الفطر عام (٤٣ هـ)، ونقل عنه لقاء بالمساءة للإمام عليه السلام وهما في الإحرام أو في الطواف ببيت الله الحرام، فلعلّه كان في أيام الموسم هذا العام.

قال للإمام عليه السلام: يا حسن ! أزعمت أن الدين لا يقوم إلاّ بك وبأبيك ؟! فقد رأيت الله أقامه بمعاوية ؟! فجعله ثابتاً بعد ميله وبيّنا بعد خفائه ! أفيرضى الله قتل عثمان ؟! أم من الحقّ أنّ تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين ! عليك ثياب كقشر البيض وأنت قاتل عثمان ! والله إنّه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك ! وسكت.

فأجابه الإمام عليه السلام قال له: إنّ لأهل النار علامات يُعرفون بها وهي: الإلحاد في دين الله، والموالاة لأعداء الله، والانحراف عن دين الله. والله إنّك لتعلم أنّ عليّاً عليه السلام لم يتريّث في الأمر، ولم يشكّ في الله طرفة عين، وايم الله لتنتهينّ ـ يابن العاص ـ أو لأقرعنّ جبينك بكلام تبقى سُبّة عليك ما حييت ! وإياك والجرأة عليَّ ! فإني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهشّ المشاشة (العظام) ولا بمريء المأكلة ! وإني من قريش كأوسط القلادة، معرق حسبي لا أُدعى لغير أبي ! وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك ألأمها حسباً وأعظمها لعنة ! (هو الأبتر) فإياك عنّي ! فإنما أنت نجس ! ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً[1].

---

(١) المحاسن للبيهقي: ٨٦ وط ٢: ٩٦، وعنه في الإمام المجتبى للمصطفوي: ٢٠٩.

فأمّا ابن العاص فهو عاص لله في نهيه عن الجدال في الحجّ حتّى لو كان في الإحرام والطواف ببيته، وأما الإمام فهو في هذا الكلام عامل بفرض النهي عن المنكر والإنكار على مرتكبيه وفاعليه، ورادّ عليهم ومدافع عن الحقّ والحقيقة، فهو يدلّ على جواز ردّ جدال بالباطل كهذا.

الإمام عليه السلام في الشام:

مرّ في الخبر حضور ابن عباس في مجلس معاوية واتهام زياد إيّاه بأنّه هو الذي سلّمهم الحسنين عليهما السلام في البأساء، وهو اليوم غرّهما وسوّل لهما ومنعهما من الوفود على معاوية حتّى ذلك الحين من عام (٤٢ هـ) فمن الطبيعي أن يكون ابن عباس قد نقل ذلك لهما عليهما السلام وفي طواف الحجّ لعام (٤٢ هـ) لقى ابن العاص الإمام الحسن عليه السلام فتحجَّج عليه واحتجّ الإمام عليه بما شمل معاوية، فلعلّه في سنة (٤٣ هـ) وقبل هلاكه في آخر شهر رمضان منها وفد لمرة أُخرى على معاوية فصادف وصول الحسن عليه السلام هناك، أو أوقفه معاوية على ذلك واستحضره لذلك المحضر وكذلك المغيرة بن شعبة، فكان ما يلي:

نقل المعتزلي عن كتاب «المفاخرات» للزبير بن بكّار الزبيري (٢٥٦ هـ) قال: اجتمع عند معاوية من أصحابه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن قومه أخوه عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة بن أبي معيط ابن أخي عثمان وتوافقوا فيما بينهم وقالوا لمعاوية: إن الحسن عليه السلام قد أحيا ذكر أبيه وقال فيه فصُدّق! ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا، وخفق النعال خلفه وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه! فابعث عليه فليحضر لنسبّه! ونسبّ أباه! ونعيّره ونوبّخه، ونقرّره أن أباه قتل عثمان ! ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلك !

فقال معاوية: ويحكم لا تفعلوا ! فوالله ما رأيته جالساً عندي قط إلاّ خفت عيبه لي في مقاله !

فقال عمرو: أتخشى أن يربي قوله على قولنا أو يأتي باطله ! على حقّنا !

فقال معاوية: فإن أبيتم إلاّ ذلك فلا تمرضوا له في القول ! واعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار، ولكن تقولون له: إن أباك كره خلافة الخلفاء من قبله وقتل عثمان ! تقذفوه بحجره !

فبعث إليه معاوية رسوله فقال له: إن أمير المؤمنين يدعوك. فسأله: من عنده ؟ فسمّاهم له فدعا عليهم وقال: «اللهم إني أعوذ بك من شرورهم، وأدرأُ بك في نحورهم، واستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت، بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين » وقال لجارية لديه: يا جارية ابغيني ثيابي.

فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه، ثمّ قال له: إنّ هؤلاء عصوني فبعثوا إليك !

فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله، الدار دارك والإذن فيها إليك، فإن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم، فإنّي لأستحيي لك من الفحش ! وإن كانوا غلبوك على رأيك فإنّي لأستحيي لك من الضعف ! فأيّهما تقرّر وأيّهما تنكر ؟! أما إنّي لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب، ومالي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم **إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**[1].

فقال معاوية: يا هذا ! إني كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملوني على ذلك ! وإنما دعوناك لنقرّرك أن أباك قتل عثمان ! وأنه قتل مظلوماً ! فاستمع منهم ثمّ أجبهم.

فبدأ عمرو بن العاص فذكر الله ورسوله فصلّى عليه، ثمّ ذكر عليّاً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلاّ قاله، وقال: إنه كره خلافة أبي بكر وامتنع من بيعته ثمّ بايعه مكرها وشتمه ! ثمّ شرك في دم عمر ! ثمّ قتل عثمان ظلماً وادّعى

(١) مقتبس من الآية: ١٩٦ من الأعراف.

الخلافة وليست له! وأضاف إليه الفتنة وذكر مساوئ يعيّره بها. ثمّ قال: ثمّ إنك يا حسن ! تحدّثك نفسك أنّ الخلافة صائرة إليك وليس لك عقل ذلك ولا لبّه! كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك وتركك أحمق قريش يسخر منك ويستهزأ بك! وذلك لسوء عمل أبيك ! وإنما دعوناك لنسبّك وأباك ! فأ مّا أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره ! وأ مّا أنت فإنّك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس ! ثمّ قال: فإن كنت ترى أنا كذبنا في شيء فارددده علينا، وهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذّبنا ! وإلاّ فاعلم أ نّك وأباك ظالمان!

ثمّ تكلّم الوليد بن عُقبة فقال: يا بني هاشم، إنّكم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم، فعرف حقّكم ! وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم، فكنتم أول من حسده ! فقتله أبوك ظلماً ! لا عذر له ولا حجّة ! فكيف ترون الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم ؟! والله إنّ بني أُمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أُمية ! وإنّ معاوية خير لك من نفسك !

ثمّ تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: يا حسن ! كان أبوك شرّ قريش لقريش ! أسفكها لدمائها ! وأقطعها لأرحامها ! طويل السيف واللسان ! يقتل الحيّ ويعيب الميّت ! وإنّك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به ! وأ مّا رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً ! ولا في ميراثها راجحاً. وإنّكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ! وإنّ في الحقّ أن نقتلك وأخاك به ! فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه ! وأما أنت فوالله ! ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان !

ثمّ تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّاً ثمّ قال: والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل، إلاّ أ نّه قتل عثمان !

فتكلّم الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وآله ثمّ قال:

أمّا بعد يا معاوية ؛ فما هؤلاء شتموني ولكّنك شتمتني ! فحشاً ألفته وسوء رأي عُرفت به ! وخُلقاً سيّئاً ثبتّ عليه وبغياً علينا ! عداوة منك لمحمّد وأهله ! فاسمعوا فلأقولنّ فيكم ما هو دون ما فيكم:

أنشدكم الله ! أتعلمون أن الذي شتمتموه اليوم صلّى القبلتين كليهما وأنت ـ يا معاوية ـ كافر بهما، تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزّى غواية !

وأنشدكم الله ! هل تعلمون أنه بايع البيعتين: بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت ـ يا معاوية ـ بإحداهما كافر (بالرضوان) وبالأُخرى ناكث (بالفتح).

وأنشدكم الله ! هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً، وأنت وأباك ـ يا معاوية ـ من المؤلّفة قلوبهم وتُستمالون بالأموال فتُظهرون الإسلام وتسترون الكفر !

وأنشدكم الله ! ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وراية المشركين كانت مع معاوية وأبيه ! ثمّ لقيكم يوم أُحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ومعك ومع أبيك راية الشرك ! وفي كلّ ذلك يفتح الله له ويفلج حجّته وينصر دعوته ويصدّق حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وآله عنه راض في كلّ تلك المواطن وعليك وعلى أبيك ساخط !

وأنشدك الله ـ يا معاوية ـ أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: « اللهم العن الراكب والقائد والسائق » !

يا معاوية، أتنسى لمّا همّ أبوك أن يسلم كتبت إليه شعراً تنهاه فيه عن ذلك فقلت:

يا صخرُ لا تُسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا مُزُقاً

خالي وعمّي، وعمُّ الأُم ثالثهم ... وحنظل الخير! قد أهدى لنا الأرقا

لا تركننّ إلى أمر تكلّفنا ـ ... والراقصات ـ به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزّى إذاً فَرَقا

ثم قال له: والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت !

وأنشدكم الله ـ أيها الرهط ـ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه (أبا بكر وعمر) بالراية إلى بني قريظة (كذا) فنزلوا من حصنهم فهُزموا ! فبعث عليّاً عليه السلام بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ! وفي خيبر فعل مثلها !

وأنتم ـ أيها الرهط ـ نشدتكم الله ! أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أولها: يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبّه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعّده وهمّ أن يبطش به ثمّ صُرف عنه، فلعنه الله ورسوله !

والثانية: يوم جاءت عيره من الشام وعرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله فطردها أبو سفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بها، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه، فكانت لأجلها وقعة بدر !

والثالثة: يوم أُحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادي: أعْلِ هُبل مراراً، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات ولعنه المسلمون !

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فابتهل رسول الله صلى الله عليه وآله ولعنه !

والخامسة: يوم الحديبية، إذ جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « كلهم ملعونون وليس فيهم من يؤمن» ! فقيل: يا رسول الله كيف باللعنة ؟ أفما يرجى الإسلام لأحد منهم ؟ فقال صلى الله عليه وآله: « أمّا القادة فلا يفلح منهم أحد، ولا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع » !

والسادسة: يوم الجمل الأحمر (الذي مرّ خبره قبل فدعا على الراكب والقائد والسائق ـ الاحتجاج).

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا به ناقته، وكانوا اثني عشر رجلا منهم أبو سفيان !

ثمّ قال: يا معاوية أظنك لا تعلّم أنّي أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكتب كتاباً لبني جذيمة (بعد الفتح) فبعث إليك ابن عباس فوجدك تأكل، ثمّ بعثه إليك مرة أُخرى فوجدك تأكل، فدعا عليك الرسول بجوعك ونهمك إلى أن تموت ! ثم قال له:

فهذا لك يا معاوية ! ثمّ التفت إلى ابن العاص وقال له:

وأما أنت ـ يابن العاص ـ فإن أمرك مشترك ! وضعتك أُمك مجهولا (لمن ؟) من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزّارها: ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً ! ثمّ قام أبوك فقال: أنا شأني محمد الأبتر ! فأنزل الله فيه ما أنزل !

وقابلت رسول الله صلى الله عليه وآله وآذيته وكدته كيدك كلّه، وكنت من أشد الناس تكذيباً وعداوة ! ثمّ خرجت تريد النجاشي لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة.

ويحك ـ يابن العاص ـ لما خرجت من مكّة إلى النجاشي ألست قلت في بني هاشم:

تقول ابنتي: أين هذا الرحيل؟ ... وما السير مني بمستنكر
فقلت: ذريني فإني امرؤ ... أُريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كيّة ... أُقيم بها نخوة الأصعر
وشأني أحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
وأجري إلى عتبة جاهداً ... ولو كان كالذّهب الأحمر

ولا أنثنــي عــن بنــي هاشم وماا استطعت في الغيب والمحضر
فإن قبـــل العتـــب منّي له وإلاّ لــويت لـــه مشفـــري !

فلما أخطأت ما رجوت خائباً جعلت حدّك على صاحبك عُمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي لما ارتكب مع حليلتك ! ففضحك الله وفضح صاحبك ! ثمّ إنك تعلم وكل هذا الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله: « اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهمّ العنه بكل حرف ألف لعنة » فعليك إذاً من الله ما لا يُحصى من اللعن !

وأما ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعَّرت عليه الدنيا ناراً (لما عزلك) ثمّ لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكات قرحة أدميتها ! ثمّ حبست نفسك على معاوية وبعت دينك بدنياه ! فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضبت له مقتولا ! ثمّ قال له: فهذا جوابك، هل سمعته ! ثمّ التفت إلى المتكلم الثاني الوليد فقال له:

وأما أنت يا وليد ؛ فوالله ما ألومك على بغض عليّ عليه السلام وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول الله صبراً ! وأنت الذي سمّاه الله « الفاسق » وسمّى عليّاً « المؤمن » حيث تفاخرتما فقلت له: اسكت يا عليّ، فأنا أشجع منك جَناناً وأطول منك لساناً ! فقال لك علي عليه السلام: اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق ! فأنزل الله في موافقة قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ﴾[1].

ثمّ أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2].

---

(١) السجدة: ١٨.

(٢) الحجرات: ٦.

ويحك يا وليد ! مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر[1] فيك وفيه:

أنزل الله في الكتـــاب العــزيز   فـي علــيّ وفــي الوليد قرآنا
فتبّوى الوليــد إذ ذاك « فسقاً »   وعلـــيّ مبـــوأ « إيمـــاناً »
ليس من « كان مؤمناً » عمرك الله   « كمـــن كــان فاسقاً » سيّانا
سوف يدعى الوليد بعد قليـــل   وعلــي إلـــى الحساب عيانا
فعلــي يُجــزي بـــذاك جناناً   ووليـــد يجـــزى بذاك هوانا
ربَّ جـدّ لعقبــة بـــــن أبان   لابـــس فـــي بلاده « تبّانا »[2]

وأمـا أنـت يـا عتبـة، فـوالله مـا أنـت بحـصيف (الـرأي) فأُجيبـك ! ولا عاقـل فأُعاتبك ! وما عقلك وعقل أمتك إلاّ سواء ! فما يضرّ علياً لـو سـببته علـى رؤوس الأشهاد ! وكيف ألومك على بغض عليّ وقد قتل خالك الوليد يـوم بـدر مبـارزة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد، وشـرك حمـزة فـي قتـل جـدّك عتبـة (المخزومي) ! وأما وعيدك إيـايّ بالقتـل ! فهـلاّ قتلـت اللحيـاني إذ وجدتـه علـى فراشك (مع عرسك !) أما تستحيي من قول نصر بن الحجاج فيك:

يا للرجال وحادث الأزمان   ولسبّة تخـــزي أبا سفيان
نبّئت « عتبة » خانه في « عرسه »   جبس لئيم الأصل من « لِحيان »

وبعد هذا مـا أربـأ بنفـسي عـن ذكـره لفحـشه ! فكيـف يخـاف أحـد سـيفك ولـم تقتل فاضحك ؟

وأما أنت يا مغيرة، فإنّما مَثلك مَثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي فـإني طائرة عنك ! فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة علـيّ فـاعلم بـك طـائرة عنـي !

---

(١) نظم الشعر شاعر النبيّ حسان بـن ثابـت الأنـصاري نظمـاً لـشأن نـزول الآيـة الـسابقة، ولـم يـسمّه الإمام عليه السلام لعلّه لأن ابن ثابت لم يبقَ ثابتاً على ما كان يقوله يومئذ إذ صار عثمانياً.
(٢) التبّان معرّب تمبان: سراويل قصيرة، فهي كناية عن أُصول غير عربية.

والله ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها ! وإن حدّ الله في الزنا لثابت عليك ؛ ولقد درأ عمر عنك حقّاً الله سائله عنه ! ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها ؟ فقال: « لا بأس بذلك ـ يا مغيرة ـ ما لم ينو الزنا » لعلمه بأ نّك زان !

وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا**﴾[1].

ثمّ قام الحسن عليه السلام وأخذ ينفض ثوبه، فمدّ عمرو يده وتعلق بثوبه وقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين ! قد شهدت قوله فيّ وقذفه أُمّي بالزنا، فأنا أُطالب بحدّ القذف فيه! فقال معاوية: خلّ عنه! لا جزاك الله خيراً ! فتركه، فانصرف الحسن عليه السلام.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أ نّه ممّن لا تطاق عارضته (= لسانه) ونهيتكم أن تسبّوه ! والله ما قام حتّى أظلم عليَّ البيت ! قوموا عنّي، فلقد فضحكم الله وأخزاكم[2].

أجل، كان هذا قبل أجل عمرو بن العاص في آخر شهر رمضان من سنة (٤٣ هـ).

وقبل ذلك كان خروج المستورد بن عُلَّفة التيمي في العراق في شعبان (٤٣ هـ).

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٢٨٥ ـ ٢٩٤ عن المفاخرات للزبير بن بكار، وأرسله الطبرسي في الاحتجاج ١: ٤٠١ ـ ٤١٦ عن أبي مخنف الأزدي ومولاهم يزيد بن أبي حبيب عن الشعبي.

بقايا خوارج النهروان في شعبان (٤٣ هـ):

مرّ في أخبار خوارج النهروان أن أربعمئة منهم جُرحوا، وعفا عنهم عليّ عليه السلام وأُذن لأهلهم أن يؤوهم ويداووهم. وفي أيام المغيرة على الكوفة اجتمع ثلاثمئة منهم إلى ثلاثة منهم: حيّان بن ظبيان السلمي والمستورد بن علّفة التيمي ومعاذ بن جوين الطائي، اجتمعوا في جمادى الآخرة (٤٣ هـ) في دار حيّان وتشاورا لمن يبايعوا حتّى بايعون أسنّهم المستورد، وتواعدوا لغرة هلال شعبان.

وكان المغيرة قد جعل على شرطته حليف ثقيف: قبيصة بن الدمون الحضرمي، وأخبره هذا باجتماعهم في دار حيّان، فأمره بقبضهم فأحاط بهم وهم عشرون رجلا فحبسهم. فخرج المستورد ببقيّتهم إلى دار بالحيرة ثمّ رجعوا إلى دار سليم السلمي العبدي من عبد قيس الكوفة لمصاهرة بينهم وبينه.

فخطب المغيرة وحذّر القبائل وهدّدهم، ثمّ بعث إلى رؤساء الناس فدعاهم وطلب منهم أن يكفي كلّ منهم من في قومه، ومنهم صعصعة بن صوحان العبدي رئيس عبد قيس فخطبهم فقال لهم:

يا معشر عباد الله، إن الله لما قسم الفضل بين المسلمين خصّكم بأحسن القسم، فأجبتم إلى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله، فأقمتم عليه حتّى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله، ثمّ اختلف الناس بعد: فثبتت طائفة، وارتدت طائفة، وأدهنت طائفة، وتربّصت طائفة، فلزمتم دين الله إيماناً به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتّى قام الدين وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء وعلى كل حال حتّى اختلفت الأُمة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب (الشام) وقالت طائفة (فيما بعد): نريد عبد الله بن وهب الراسبي الأَزدي (الخوارج) وأنتم قلتم:

لا نريد إلاّ « أهل البيت » الـذين ابتـدأنا الله بالكرامـة مـن قـبلهم، تـسديداً مـن الله لكم وتوفيقاً.

فلم تزالوا على الحقّ لازمين له آخذين به، حتّى أهلك الله بكم ـ وبمـن كـان على مثل رأيكم وهداكم ـ « الناكثين » يوم الجمل (وسكت عن ذكر أهل الـشام القاسطين لأن الـسلطان حينئـذ كـان سـلطانهم، وقـال:) ولا قـوم أعـدى لله ولكـم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه « المارقة » الخاطئة، الذين فـارقوا إمامنا (عليّاً) واستحلّوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر !

فإياكم أن تؤوهم في دوركم أو تكتموا عليهم، فإنّـه لـيس ينبغـي لحـيّ مـن أحياء العرب أن يكونوا أعدى منكم لهذه « المارقة » وقـد ذُكـر لـي: أن بعـضهم في جانب من حيّكم وأنا باحث وسائل عن ذلك، فإن كان ما حكي لي من ذلـك حقّاً تقرّبت إلى الله بدمائهم فإنّ دماءهم حلال[1].

وبلغ ذلك ابن عُلّفـة فتواعـد مـع أصـحابه قريـة سـورا فخرجـوا إليهـا فكـانوا ثلاثمئة، ثم ساروا إلى السّراة. وبلغ خبرهم المغيرة فدعا الرؤساء واستـشارهم مـن يبعث إليهم، فانبرى لهم معقل بن قيس التميمي، فجهّز معه ثلاثة آلاف رجل!

وقال لأمير شرطته قبيصة: الصق «بشيعة عليّ» فأخرجهم مع معقل بـن قـيس، فإنّه كان من رؤوس أصحاب عليّ، فإذا جمعت إليه «شيعته » استأنسوا وتناصحوا وهم أجرأ على هذه « المارقة » وأشدّ استحلالاً لدمائهم وقد قاتلوهم من قبل!

وبلـغ المغيـرة: أن صعـصعة العبـدي يكثـر ذكـر علـي عليه السلام ويفـضّله ويعيـب عثمان.

فدعاه وقال له: إنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أنا أجهله ! بـل أنـا أعلـم بذلك ! ولكن هذا السلطان قد ظهر وظفر، وقد أُخذنا باظهار عيبه للنـاس ! فـنحن

---

(١) وليته كان يتذكر قول عليّ عليه السلام لهم: ألا لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من....

ندع كثيراً مما أُمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد بدّاً منه، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا « تقيّة » فإن كنت ذاكراً فضله فاذكر ذلك بينك وبين أصحابك في منازلكم سرّاً ! وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله لنا الخليفة ولا يعذرنا به ! فإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل عليّ علانية ! وإياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس !

فكان يقول له: نعم أفعل ما تقول. ثمّ يبلغه أنّه قد عاد إلى ما نهاه عنه !

وخرج المستورد بجمعه من السّراة إلى بهرسير وأراد أن يعبر جسر دجلة إلى مدينة (طيسفون) القديمة فقطع والي المدائن الجسر عليهم فأقاموا في بهرسير يومين أو ثلاثة حتّى تبيّن لهم مسير معقل إليهم، فمضوا على شاطئ دجلة حتّى انتهوا إلى جرجرايا فعبروا دجلة، فمضوا في أرض جوخي حتّى بلغوا المذار من البصرة، فبلغ خبرهم عبد الله بن عامر وقيل له: إنّ المغيرة نظر إلى رجل رئيس شريف كان من أصحاب عليّ عليه السلام وقاتل معه الخوارج، فبعثه ومعه « شيعة علي » لعداوتهم لهم.

فبعث ابن عامر إلى شريك بن الأعور الحارثي الهمداني وهو على رأي عليّ عليه السلام، وقال له: انتخب ثلاثة آلاف رجل واخرج بهم إلى هذه « المارقة » حتّى تخرجهم من أرض البصرة، أو تقاتلهم فتقتلهم. فانتخب الناس وألحّ على فرسان ربيعة على رأي « الشيعة ».

ودنا معقل من المدائن فأُخبر أنهم ارتحلوا، فنزل على باب مدينة بهرسير، فخرج إليه عامل المدائن سماك بن عبيد وأمر غلمانه ومواليه فأتوهم بالجزر والشعير والقتّ بما يكفيه ومن معه، وأقام معقل هناك ثلاثة أيام.

ثمّ قدّم مقدمة في ثلاثمئة فارس مع أبي الروّاغ الشاكري الهمداني، فركب في الوجه الذي أخذوا فيه، حتّى عبروا جرجرايا في آثارهم حتّى لحقهم مقيمين بالمذار فتنحّوا عنهم وباتوا متحارسين. فلما ارتفع الضحى شدّ الخوارج

عليهم، فتناوشوا وتواقفوا حتّى صلّوا الظهر والعصر. ودعا معقل محرز بن شهاب التميمي وأمره أن يتخلّف في ضعفة الناس، ليتعجّل هو بأهل القوة منهم سبعمئة رجل ولكنّه لم يصلهم إلاّ بعد الأصيل وحين غربت الشمس، فنزلوا للصلاة، وشدّ الخوارج عليهم بعد الصلاة، فشدّ عليهم معقل بمن معه حتّى اضطروهم إلى بيوت قرية المذار.

وجاءهم محرز بن شهاب التميمي بمن معه، فصف معقل أصحابه فجعل أبا الرّواغ على الميمنة ومحرز بن بجير على الميسرة ومسكين بن عامر على الخيل، وقال لهم: على مصافّكم حتّى نُصبح.

ومرّ بعض أهل الطريق في طريقه من البصرة بجيش شريك الأعور إلى الخوارج فأخبرهم بإقباله إليهم، فقال المستورد لأصحابه: نرجع إلى الوجه الذي جئنا منه، فإن أهل البصرة لا يتّبعونا إلى أراضي الكوفة، وقتال أهل مصر واحد أهون علينا من قتالهم جميعاً، فادخلوا في القرية ثمّ اخرجوا من ورائها ثمّ نعود إلى الطريق. ففعلوا ذلك وأقبلوا حتّى نزلوا جرجرايا.

فدعا معقل أبا الرّواغ وقال له: اتبعه بأصحابك حتّى تحبسه وحتّى ألحقك، وكان معه ثلاثمئة فطلب الضّعف فضاعفه إلى ستمئة، فاتّبعوهم إلى جرجرايا، فتقاتلوا ساعة ثمّ مضى الخوارج حتّى عبروا دجلة إلى أرض بهرسير، واتّبعهم أبو الرّواغ بجمعه، فانصرف الخوارج حتّى نزلوا ساباط المدائن، وتبعهم أبو الرّواغ إليه. وعلم الخوارج بوصول معقل إلى قرية ديلمايا (ديالى ؟) في أُستان (محافظة) بهرسير إلى جانب دجلة على ثلاثة فراسخ (١٥ كم) من محلّ الخوارج، فخرجوا إلى معقل في ديلمايا حتّى أطلّوا عليه في مئتين من بقايا أصحابه وهم غارّون لا يشعرون، فحمل الخوارج عليهم حتّى لحقهم أبو الرّواغ بجمعه، فحملوا عليهم فتقاتلوا حتّى أفنوهم.

وقدم أبو الرّواغ ومسكين بن عامر على المغيرة مبشّرين، فأخبروا أن المستورد بعد قتال شديد طويل نادى: يا معقل ابرز إليّ، فمشى إليه بالسيف وخرج المستورد برمحه فطعن معقل حتّى خرج السنان من ظهره، وضربه معقل بسيفه في دماغه فقتلا، فأخذ الراية عمرو بن محرز وهو فتى حدث فأمرهم أن يشدّوا وشدّ هو فما لبثوا أن قتلوهم[1].

وهكذا تخلّص معاوية بشيعة الكوفة من خوارجها عليه في شهر شعبان (٤٣ هـ).

فاستلحق زياداً ليوليّه البصرة:

نقل المعتزلي عن المدائني البصري: أن معاوية كان قد استقدم أبا مريم السلولي واستلّ منه أن زياداً من زنا أبي سفيان بسميّة، واستقدم زياداً واستلّ منه أنّه لا يكره ذلك بل يرغب فيه ! فجمع الناس وفيهم السلولي وصعد المنبر وأجلس زياداً دونه بمرقاة، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم:

أ يّها الناس، إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد، فمن كانت عنده شهادة فليقم بها ! فعُلم أنه قد أعدّ لذلك أُناساً منهم أبو مريم السلولي فقام وقال:

يا أمير المؤمنين ! أشهد أنّ أباك أبا سفيان قدم علينا بالطائف فاشتريت له طعاماً لحماً وخمراً، ثمّ قال لي: يا أبا مريم أصب لي بغيّاً ! فخرجت إلى سميّة وهي تحت عُبيد وكان راعياً غائباً فقلت لها: إن أبا سفيان قد أمرني أن أُصيب له بغيّاً فهل لك في ذلك؟ فقالت: الآن يجيء عُبيد بغنمه ! فإذا تعشّى ونام جئتك ! فرجعت إلى أبيك أبي سفيان وأخبرته، فلم نلبث حتّى جاءت تجرّ ذيلها

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٨١ ـ ٢٠٩ مختصراً. وفي الاشتقاق لابن دريد: ١٨٦: أن قطاماً قاتلة عليّ عليه السلام كانت أُخت المستورد الخارجي وأخوه هلال كان قاتل رستم في القادسية.

فأدخلتها إليه فكانت عنده حتّى الصباح ثمّ انصرفت عنّا. وقام ناس فشهدوا أنّهم سمعوا أبا سفيان قبل موته أقرّ بزياد.

ثمّ قام زياد فحمد الله وأثنى عليه ! ثمّ قال لهم: أيها الناس، إنّ معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم، ولست أدري حقّ هذا من باطله ! وهو والشهود أعلم بما قالوا ! وإنّما عُبيد أب مبرور ووال (لا والد) مشكور ! وسكت ونزل[١].

وزوّج معاوية إحدى بناته لمحمد بن زياد ليؤكّد بذلك صحّة الاستلحاق ! وبلغ ذلك أخاه نُفيعاً أبا بكرة الصحابي، فكره ذلك وأنكره وقال فيه: إنّه انتفى من أبيه وزنّى أُمه، لا والله ما علمت سميّة رأت أبا سفيان ! يا ويله[٢] ! فقيل له: يزعم الناس أنك تجد على معاوية وزياد في أمر الدنيا ! فقال: لا والله، ولكن القوم كفروا صراحية[٣].

وقال اليعقوبي: إنّ زياداً أحضر لذلك شهوداً أربعة شهد أحدهم أنه سمع عليّاً عليه السلام قال: كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب حين أتاه زياد برسالة أبي موسى الأشعري، فتكلّم زياد بكلام أعجبه، فقال له: أتقول هذا للناس على المنبر ؟ قال: هم أهون عليَّ منك ! فقال أبو سفيان: والله لهو ابني ولأنا وضعته في رحم أُمّه ! فقلت له: فما يمنعك من ادّعائه ؟ قال: مخافة هذا العير الناهق[٤] !

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٨٧ عن المدائني البصري. وانظر مروج الذهب ٣: ٦ ـ ٨.

(٢) انظر ترجمة زياد في الاستيعاب.

(٣) أنساب الأشراف ١: ٤٩٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٨ وقارنه بما عن البلاذري والواقدي والكلبي في شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٨٠ ـ ١٨١، وخبره في باب الأدعياء من الجاهلية من كتاب مثالب العرب: ١٣٠. وانظر الغدير ١٠: ٢١٦ ـ ٢٢٧، واكتفى ابن الخياط بقوله: وفي (٤٤ هـ) كان من أمر معاوية وزياد الذي كان ١: ١٢٦.

معاوية وابن عباس وابن العاص:

يظهر من خبر نقله الصدوق بسنده عن عبدالملك بن مروان: كأنه قد بلغ معاوية أنه لما بلغ عبد الله بن عباس استلحاق معاوية لزياد، كان ممّن نفا زياداً عن ابن حرب، ووفد ابن عباس على معاوية وعنده ابن العاص، فقال له معاوية: يا بني هاشم ؛ بم تفخرون علينا أليس الأب والأُم واحداً والدار والمولد واحداً ؟!

فقال ابن عباس: نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على سائر قريش، وتفخر قريش به على الأنصار، وتفخر به الأنصار على سائر العرب، وتفخر به العرب على العجم: برسول الله صلى الله عليه وآله، وبما لا تستطيع له إنكاراً ولا منه فراراً !

فقال له معاوية: يابن عباس ! لقد أُعطيت لساناً ذلقاً تكاد تغلب بباطلك حقّ سواك !

فقال ابن عباس: مَه ! فإنّ الباطل لا يغلب الحقّ، ودع عنك الحسد فلبئس الشعار الحسد !

فصدّقه معاوية وقال له: أما والله إني لأُحبّك لخصال أربع مع مغفرتي لك خصالا أربعاً ! فأمّا ما أُحبّك له: فإنّك رجل من أُسرتي وأهل بيتي ومن مُصاص (خالص) عبد مُناف، والثانية: كان أبي خِلاّ لأبيك ! والثالثة: لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله! والرابعة: أنك لسان قريش وزعيمها وفقيهها ! والأربع التي غفرت لك: فإساءتك في خذلان عثمان فيمن أساء ! ثمّ سعيك فيمن سعى على عائشة أُم المؤمنين ! ثمّ عَدْوك عليَّ فيمن عدا بصفّين ! ثمّ نفيك عنّي زياداً فيمن نفى ! واستخرجت عذرك من كتاب الله عزّ وجل قوله: ﴿**خَلَطُوا عَمَلا صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً**﴾[1] وقال أخو بني ذُبيان:

---

(١) التوبة: ١٠٢.

ولستَ بمُستبق أخاً لا تلمّــه على شعَث، أيّ الرجال المهذّب ؟

وقـد قبلـت فيـك الأربـع الأُولـى، وغفـرت لـك الأربـع الأُخـرى فكنـت كما قال الأول:

سأقبل ممن قد أُحبّ جميله وأغفر ما قد كان من غير ذلكا

فحمـد الله ابـن عبـاس ثـمّ قـال: أمـا مـا ذكـرت أنـك تحبّنـي لقرابتـي مـن رسول الله صلى الله عليه وآله، فذلك الواجب عليك وعلى كل مسلم آمن بـالله ورسـوله ؛ لأ نّـه الأجر الذي سـألكم رسـول الله علـى مـا آتـاكم بـه مـن الـضياء والبرهـان المبـين فقال عزّ وجل: ﴿**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِـي الْقُرْبَـى**﴾[1] فمـن لـم يحب رسول الله إلى ما سأله خاب وخزي وكبـا فـي جهـنّم ! وأمـا صـداقة أبيـك لأبي فقد سبق فيه قول الأول:

سأحفظ مَن آخا أبي فـي حياته وأحفظه من بعده في الأقارب

ولست لمن لا يحفظ العهد وامقاً ولا هو عنـد النائبات بصاحب

وأما أني رجل من أُسرتك وأهل بيتك فذلك كذلك... وأما أني لسان قـريش وفقيهها وزعيمها فإنك قد أُوتيتها[2] !

وأما خذلان عثمان، فقد خذله من كان أمسّ رحماً بـه منّـي (يعنـي معاويـة) ولي في الأقربين والأبعدين أُسوة، وإني لم أعُد عليه فـيمن عـدا بـل كففـت عنـه كما كفّ أهل الحِجى والمُروّات !

وأمـا سـعيي علـى عائـشة ؛ فـإنّ الله تعـالى كـان قـد أمرهـا أن تقـرّ فـي بيتهـا وتحتجب بسترها ! فلمّا خالفت نبيّها وكشفت جلباب الحياء وسعنا مـا كـان إليهـا منّا!

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) يستبعد أن يقرّ له ابن عباس بالفقه في الدين، ولا يخفى أن الراوي عبد الملك الأموي.

وأما عَدْوي عليك بصفّين ؛ فوالله لو لم أفعل لكنت من ألأم العالمين ! أفكانت نفسك ـ يا معاوية ـ (كذا بلا لقب) تحدّثك أني أخذل ابن عمي أميرالمؤمنين وسيد المسلمين، وقد حشّد له المهاجرون والأنصار والمصطفون الأخيار ؟! ولمَ ـ يا معاوية ـ ألشكّ في ديني ؟ أم لحيرة في سجيّتي ؟ أم ضنّاً (بخلا) بنفسي ؟!

وأما ما ذكرت من نفي زياد ؛ فإني لم أنفه بل نفاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ قال: « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ولكنّي بعد هذا لأُحبّ ما سرّك في جميع أُمورك !

فقال ابن العاص: يا أمير المؤمنين ! والله ما أحبّك ساعة قط ! غير أ نّه قد أُعطي لساناً ذرباً يقلّبه كيف يشاء ! فقال ابن عباس: إن عمراً دخل بين العصاء واللحاء، وبين العظم واللحم ! وقد تكلم فليستمع:

أما والله يا عمرو ؛ إني لأُبغضك في الله وما أعتذر منه[1] قد قال الله تبارك وتعالى: (**لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ**)[2] وقد حاددت الله ورسوله قديماً وحديثاً، ولقد جهدت على رسول الله جهدك، وأجلبت عليه بخيلك ورجلك، حتّى إذا غلبك الله على أمرك، وردّ كيدك في نحرك، وأوهن قوتك وأكذب أُحدوثتك، نزعت وأنت حسير ! ثمّ كدت بجهدك لعداوة أهل بيت نبيّه من بعده، ليس ذلك من حبّ لمعاوية ولا آل معاوية، ولكن عداوة لله ولرسوله، مع بغضك وحسدك القديم لأبناء عبد مناف !

فبدأ عمرو يتكلم فقال له معاوية: أما والله يا عمرو ما أنت من رجاله ! فإن شئت فقل وإن شئت فدع !

---

(١) هنا نسب الراوي إليه أنه نسب نزول سورة الكوثر بشأن ابن العاص، والصحيح إلى العاص.
(٢) المجادلة: ٢٢.

فقال ابن عباس: دعه ـ يا معاوية ـ فوالله لأسمنّه بميسم يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، تتحدث به الإماء والعبيد ويُتغنّى به في المجالس ويُتحدث به في المحافل ! والتفت إليه وقال له: يا عمرو ! اخسأ أيها العبد وأنت مذموم ! فمدّ معاوية يده فوضعها على فم ابن عباس وقال له: أقسمت عليك يابن عباس إلاّ أمسكت ! فأمسك، وافترقوا[١].

وعاد عمرو فهلك:

اضطرّنا مضمون الخبر السابق أن يسبق هلاك ابن العاص بعد استلحاق معاوية لزياد، وكأنّ ابن العاص عاد إلى مصر فلما تصرّمت ليالي رمضان تصرّمت ليالي عُمر عَمرو !

قال اليعقوبي: وليلة عيد الفطر سنة (٤٣) توفي عمرو... ولما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قد دخلت في أُمور لا أدري ما عذري عند ربّي ! ثمّ نظر إلى ماله كثيراً فقال: يا ليته كان بَعراً ! يا ليتني متّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة (أي قبل خلافة الخلفاء) أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني ! وآثرت دنياي وتركت آخرتي ! عُمّى عليَّ رشدي حتّى حضرني أجلي ! كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء خلافتي فيكم ! فكان كذلك، فقد أقرّ معاوية عبد الله بن عمرو على مصر ولكنّه استصفى شطر ماله وحواه وقال: هي سنة عمر ! ثمّ شاطر سائر عمّاله. وكانت مصر والمغرب طعمة لعمرو شرطها على معاوية شرطاً يوم بايعه.. فكان عمرو يفرّق العطاء في جيشه ثمّ يأخذ ما زاد لنفسه ولا يحمل منه إلى معاوية شيئاً حتى مات عن تسع وتسعين عاماً[٢] بل تسعين عاماً، وبدأ ابنه بالصلاة عليه ثمّ

(١) الخصال ١: ٢١١ ـ ٢١٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

صلّى العيد. وخلّف عمرو من الذهب: ثلاثمئة ألف دينار، ومن الفضة ألف درهم، ومن الغلاّت مئتي ألف دينار، وضيعته المعروفة بالوهط وقيمتها عشرة آلاف ألف درهم[١].

وضعف الفهري عن إدارة البصرة:

كان معاوية يستوفد من عمّاله الوفود، فأوفد المغيرة الثقفي من الكوفة وفداً فيهم عبد الله بن الكوّاء اليشكري الهمداني فكان خطيبهم. وأوفد ابن عامر الفهري من البصرة وكان قد انتشر عن البصرة انتشار الأُمور أو انتثارها. واجتمع الوفدان عند معاوية فكان من سياسته أن سأل معاوية ابن الكوّاء عن الكوفة والبصرة، فقال له ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين ! إن أهل البصرة ضعف عنهم سلطانهم فأكلهم سفهاؤهم ! هذا وأهل البصرة حضور. فلما انصرف وفد البصرة بلّغوا ابن عامر بذلك[٢].

وكان لا يعاقب في سلطانه حتّى اللصوص لا يقطعهم ! فقيل له في ذلك فقال: كيف أنظر إلى رجل قد قطعت أخاه أو أباه ! وأنا أتألّف الناس ! وكأنه استحضر لذلك زياداً من الكوفة فشكا إليه ظهور خبث وفساد في الناس. فقال زياد: جرّد سيفك فيهم ! قال: أكره أن أصلحهم بفساد نفسي ! فبسبب ذلك فسدت البصرة عليه يومئذ[٣].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣. وراجع عمرو بن العاص للعقّاد، وعمرو بين يدي التاريخ لأبي رابية وتاريخ عمرو بن العاص لحسن إبراهيم، ومعاوية وعمرو بن العاص للسيّد تحسين الموسوي، والغدير ٣: ١٧٣ ـ ٢٥٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٢.

ووفد زياد بذلك على معاوية مع رجل من عبد قيس البصرة، فقبّح لمعاوية آثار ابن عامر وعرّض بأعماله وعمّاله[١] ! وقد روى الطبري أن زياداً كان قد طلب من أهل الكوفة أن يلحقوا نسبه بمعاوية ! فقالوا: أبشهادة الزور ؟! فلا[٢] بلا تاريخ للخبر هل كان هذا قبل استلحاق معاوية أو بعده ؟ فإن كان هذا قبله فلعلّه بلغ هذا معاوية أو أبلغه المغيرة الثقفي، وأبلغه أن خمّار الطائف أبا مريم السلولي يقول به، فاستقدمهما معاوية، واستشهد له أبا مريم.

وعزل ابن عامر عن البصرة:

وكان معاوية قد كتب إلى ابن عامر يطلب منه أن يزوره، وذلك في سنة (٤٤ هـ)، فاستخلف على البصرة قيس بن الهيثم وقدم على معاوية[٣].

فاستأذن العبديّ البصريّ الذي كان مع زياد، استأذنه أن يزور ابن عامر، فاشترط عليه زياد أن يخبره بما يجري بينهما ! وكان ابن عامر قد علم بأن زياداً قبّح لمعاوية آثار ابن عامر وعرّض بعمّاله، فلما أتاه العبدي قال له: هيه هيه ! أصبح ابن سُمية يُقبّح آثاري ويعرّض بعمالي ! لقد هممت أن آتي بقسامة من قريش يحلفون أنّ أبا سفيان لم يرَ سميّة !

فأخبر العبديّ زياداً بذلك، فأخبر زياد بذلك معاوية، فحجبه فشكا ابن عامر ذلك إلى يزيد بن معاوية فأدخله معه، فقال له: يابن عامر ! أنت القائل في زياد ما قلت ! أما والله لقد علمت العرب أني لم اتكثّر بزياد من قلة ولم أتعزّز

---

(١) الطبري ٥: ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢١٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٣ عن المدائني.

به من ذلّة ! ولكن عرفت له حقاً ! فوضعته موضعه ! فقال: يا أمير المؤمنين ! نرجع إلى ما يحبّ زياد ! ثمّ خرج إليه فترضّاه[١] !

ثم قال له معاوية: اختر بين أن أُحاسبك فيما صار إليك وأتتبّع أثرك وأردّك إلى عملك، وبين أن أُسوّغك ما أصبت وتعتزل ! فاختار أن يسوّغه ويعتزل ثمّ قال له: وتنكحني ابنتك هنداً ! قال: قد فعلت[٢] ! ثمّ زوّج ابنته أُم كلثوم ليزيد، كما يأتي.

وكان معاوية عزل ابن عامر ليولّي زياداً، ولكنّه حلّل بينهما بالحارث بن عمرو الأزدي من أهل الشام بأربعة أشهر ! وأعاد زياداً إلى الكوفة فنزل على سلمان بن ربيعة الباهلي، ينتظر أمر معاوية، وبلغ المغيرة أن زياداً ينتظر أن تجيء إمارته على الكوفة ! فاستخلف عتيبة بن النّهاس العجلي على الكوفة وخرج إلى معاوية وسأله أن يعزله فردّه إلى عمله، فدعا معبد بن خالد الجدلي وقال له: اذهب إلى ابن سميّة ! فرحّله عن البلد إلى ما وراء الجسر قبل أن يصبح فلا يصبح إلاّ فيما وراءه ! وقدم رسول معاوية على زياد: أن سِر إلى البصرة، فرحل إليها[٣] وتملّك قصراً فأقام فيه واتّخذ له حاجباً.

وكأنه بلغه عزم معاوية على الحجّ، فكتب إليه يستأذنه في الحجّ، فكتب إليه يولّيه أمر الموسم ويجيزه بألف ألف (مليون) درهم ! فأخذ يتجهّز للحجّ لسنة (٤٤ هـ)، وبلغ ذلك أخاه نفيعاً أبا بكرة، فأقبل أبو بكرة يريده وبصر به حاجبه وعلم قصده فأسرع إلى زياد وقال له: هذا أخوك أبو بكرة يريد قصرك ! قال له: ويحك أنت رأيته ؟ قال: هاهو ذا طلع ! وكان زياد قاعداً وفي حجره

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢١٤ ـ ٢١٥ عن النميري البصري.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢١٤ عن المدائني.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٦ عن المدائني وغيره.

صبيّ يلاعبه، فجاء أبو بكرة حتّى وقف عليه بلا سلام والتفت إلى الغلام وقال له: يا غلام كيف أنت ؟قال له: إن أباك ركب في الإسلام عظيماً ! زنّى أُمّه وانتفى من أبيه، ولا والله ما علمت سميّة رأت أبا سفيان قط ! ثمّ هو يريد أن يركب ما هو أعظم من ذلك: يوافي الموسم غداً ويوافي أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ـ وهي من أُمهات المؤمنين ـ فإن استأذن عليها فأذنت له فأعظم بها فرية على رسول الله صلى الله عليه وآله ومصيبة ! وإن هي منعته فأعظم بها على أبيك فضيحة ! ثمّ انصرف.

فقال زياد له: جزاك الله يا أخي عن النصيحة خيراً ! ساخطاً كنت أو راضياً !

ثم كتب إلى معاوية: إني قد اعتللت عن الموسم ! فليوجّه أمير المؤمنين إليه من أحبّ فوجّه إليه أخاه عتبة بن أبي سفيان[١].

وكان زياد في شبابه سابقاً قد وقع في بني قيس بن ثعلبة على أمة لهم فحملت منه وجاءت بذكر امتلكوه واسموه عبّاداً وكان في البصرة خرّازاً يخرز القرب، وكان قد سمع من أُمّه ومنهم أنه لزياد بن سميّة، فلما بدأ زياد يتجهّز جاء أصحاب القرب يعرضون عليه قربهم، وتقدم فيهم عبّاد فصار يعرض عليه ويحاوره، وكأن زياداً لمح فيه ملامحه فسأله: ويحك من أنت ؟ قال: أنا ابنك ! ثمّ قصّ عليه قصّته، فصدّقه واشتراه منهم وادّعاه وألحقه، وتزوّج له الستيرة ابنة أنيف بن زياد الكلبي سيدهم على عهده، وعظم أمره[٢].

وحجّ معاوية لسنة (٤٤ هـ):

فقدم المدينة، فكان من استقبله من قريش أكثر من الأنصار، وكان فيهم قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري وكان سيّدهم فسأله معاوية: يا معشر الأنصار !

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٨٨ عن الجاحظ.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٩٣ عن الكلبي النسابة، وليس في المنشور من كتابه مثالب العرب.

ما لكم لا تستقبلوني مع إخوانكم من قريش ؟ فقال قيس: أقعدنا ـ يا أمير المؤمنين ! ـ أن لم تكن لنا دوابّ. فقال معاوية: فأين النواضح (نواقل الماء) يعيّرهم بها ! فقال قيس: يا معاوية ! تعيّرنا بنواضحنا ! والله لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا، ثمّ دخلت أنت وأبوك في الإسلام كرهاً حين ضربناكم عليه ! أما إن رسول الله قال: « إنكم سترون بعدي أثرة » فقال معاوية: فما أمركم ؟ قال: أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه ! فقال: فاصبروا حتّى تلقوه ! ثمّ قال له: كأنك تمنّ علينا بنصرتك إيانا ! والله لقريش بذلك المنّ والطَّول إذ جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا !

فقال له قيس: إن الله عزّ وجل بعث محمّداً رحمة للعالمين، فبعثه إلى الناس كافة إلى الجن والإنس والأسود والأبيض والأحمر، واختاره لنبوّته واختصّه برسالته، فكان أوّل من صدّقه وأمن به ابن عمّه علي بن أبي طالب، وكان أبو طالب عمه يذبّ عنه ويمنع منه ويحول بين كفار قريش وبينه أن يروّعوه أو يؤذوه، ويأمره بتبليغ رسالات ربّه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتّى مات عمه أبو طالب وأمر ابنه عليّاً بمؤازرته ونصرته، فوازره عليّ ونصره وجعل نفسه دونه في كلّ شديدة وكلّ ضيق وكلّ خوف، واختصّ الله بذلك عليّاً من بين قريش وأكرمه من بين جميع العرب والعجم... فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلاّ ذكره واحتجّ به قال: ومن أهل هذا البيت حمزة سيد الشهداء، وجعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة بجناحين اختصّه الله بذلك من بين الناس، ومنهم فاطمة سيدة نساء العالمين، فإذا وضعت من قريش رسول الله و « أهل بيته » وعترته الطيبين فنحن والله خير ـ يا معشر قريش ـ وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى « أهل بيته » منكم ! ثمّ لم يدع آية نزلت في عليّ عليه السلام إلاّ ذكرها.

فعند ذلك غضب معاوية وأمر فكتب كاتبه نسخة إلى عمّاله: ألا برئت الذمّة ممّن روى حديثاً في مناقب علي بن أبي طالب أو فضائل أهل بيته ! وأمر فنادى

مناديه بها في المدينة، وقام الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ المنابر بلعن عليّ عليه السلام والبراءة منه والوقيعة فيه وفي أهل بيته واللعنة لهم[١].

وزاره أبو قتادة الأنصاري الذي كان واليّاً لعليّ عليه السلام على مكة، فقال له معاوية: يا أبا قتادة، تلقّاني الناس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار، فما منعكم ؟ قال: لم يكن معنا دواب ! قال معاوية: فأين النوق النواضح ؟ يعيّرهم بحملهم المياه ! فأجابه أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر ! فقال معاوية: نعم يا أبا قتادة (ثمّ ماذا ؟) فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لنا: « ستلقون بعدي أثرة » فقال معاوية: فما أمركم به عند ذلك ؟ قال: أمرنا بالصبر. قال: فاصبروا حتّى تلقوه ! وكان حسّان بن ثابت قد مات فلما بلغ هذا إلى ابنه عبد الرحمان قال:

ألا أبلغ معاوية بن صخر أمير المؤمنين نبا كلامي
فإنا صابرون ومُنظروكم إلى يوم التغابن والخصام[٢]

ثمّ جمع النعمان بن بشير بشراً من الأنصار وصار بهم إلى هاوية معاوية فأقرّوا له بفقرهم ! واستعطفوه بذكر الحديث النبويّ لهم: « ستلقون بعدي أثرة » وقالوا: لقد لقيناها ! فقال لهم معاوية: فما قال لكم ؟ قالوا: قال لنا: « فاصبروا حتّى تردوا عليَّ الحوض » قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غداً عند الحوض كما أخبركم ! ولم يعطهم شيئاً !

نقله المعتزلي في شرحه وعلّق عليه يقول: وهذا الخبر هو الذي يكفّر به كثير من أصحابنا (المعتزلة) معاوية بالاستهزاء به[٣].

---

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٧٧٧ ـ ٧٨٠، الحديث ٢٦. وانظر مروج الذهب ٣: ١٧، وخبراً عن الرضا عليه السلام بشأن قيس بن سعد وعبادته وشجاعته. وتخريجه في ٣: ٩٨٨.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٤١، وانظر الغدير ١٠: ٢٨٢ عن الاستيعاب وابن عساكر.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٣٢.

وكما دخل عليه والي عليّ عليه السلام على مكة، دخل عليه والي علي على المدينة أبو أيوب الأنصاري، وشكا إليه ديناً عليه، فلم يرفع رأسه إليه وجفاه ! فقال أبو أيوب: صدق رسول الله: إنكم سترون بعدي أثرة فعليكم بالصبر ! فقال معاوية: فأنا أوّل من أُصدّقه: صدق رسول الله ! فقال أبو أيوب: أجرأة على الله ورسوله ؟! فوالله لا أسألك شيئاً أبداً ولا أُكلمك أبداً ولا يأويني وإياك سقف بيت أبداً[1] ولعلّه كان أوّل من دخل ونقل له ذلك فكان أوّل من صدّقه في ذلك !

معاوية وسعد في المدينة:

وكان سعد بن أبي وقاص الزهري قد اعتزل القتال، ونرى أوّل لقاء له بمعاوية هذه السنة في المدينة: دخل عليه فسأله معاوية: ما لك لم تقاتل عليّاً ؟! قال: مرّت بي ريح مظلمة فأنخت راحلتي حتّى انجلت عنّي فعرفت الطريق فسرت !

فقال معاوية: ولكن في كتاب الله: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾[2] فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية !

فقال سعد: ما كنت لأُقاتل رجلا قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي » فكأنّ معاوية أنكر ذلك فسأله: من سمع هذا معك ؟ قال: فلان وفلان وأُمّ سلمة. فطلب إليه معاوية أن يقوما معاً إلى أُم سلمة فقاما إليها فسألاها فحدثتهما بما حدّث به سعد. فلما سمع

---

(١) الغدير ١٠: ٢٨٣ عن ابن عساكر.

(٢) الحجرات: ٩.

ذلك معاوية قال جدلا: لو سمعت هذا قبل اليوم لكنت خادماً لعليّ ! حتّى يموت أو أموت[١] !

وروى المفيد الخبر بسنده عن ابن عباس قال: نزل معاوية في حجه المدينة فاستؤذن لسعد بن أبي وقاص عليه، فقال لجلسائه: إذا أذنت لسعد وجلس فخذوا في عليّ بن أبي طالب ! ثمّ أذن له فلما دخل أجلسه معه على سريره !

ثمّ سمعهم سعد يشتمون عليّاً عليه السلام فاستعبر سعد، ورآه معاوية فقال له: يا سعد ! أتبكي أن يشتم قاتل أخيك عثمان !

فقال سعد: والله ما ملكت بكائي ! ثمّ قال: خرجنا من مكة مهاجرين حتّى نزلنا هذا المسجد فكان فيه مبيتنا ومقيلنا، حتّى أخرجنا منه رسول الله وترك عليّاً، فاشتدّ علينا ذلك ولكنّا هِبنا نبيّ الله أن نذكر له ذلك ! فقلنا لعائشة: إنّ لنا صحبة مثل صحبة عليّ وهجرة مثل هجرته، وأخرجنا من المسجد وتركه فيه ! فلا ندري أمن سخط الله أو من غضب رسوله ! وإنّا نهابه فاذكري له ذلك ! فذكرت ذلك له فقال لها: يا عائشة، لا والله ما أنا أخرجتهم ولا أنا أسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه !

وغزونا خيبر فانهزم من انهزم فقال نبي الله: « لأُعطين الراية اليوم رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله » فدعاه وكان أرمد فتفل في عينه وأعطاه رايته ففتح الله له !

وغزونا تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فودّع عليّ النبي على ثنيّة الوداع وبكى، فقال له النبي: ما يبكيك ؟ فقال: كيف لا أبكي ولم أتخلّف عنك في غزاة منذ بعثك الله تعالى، فما بالك تخلفني في هذه الغزاة ؟

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الشامي ٨: ٧٧، وعنه في الغدير ١٠: ٢٥٨، وانظر تعليق الأميني عليه. ونقله في علل الشرائع ١: ٢٦٠ الباب ١٦٠ في رسالة الشيباني في صلح الحسن عليه السلام وذكر استحالته وكذبه.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبيّ بعدي ؟

فقال علي: بلى قد رضيت[١].

وابن عباس ومعاوية:

قال اليعقوبي: وزاره عبد الله بن العباس في جماعة من بني هاشم، وكلّموه في أُمورهم، فقال لهم:

أما ترضون ـ يا بني هاشم ـ أن نقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتّى تقولوا ما تقولون ؟! فوالله لأنتم أحلّ دماً من فلان وفلان وأعظم لهم في القول !

فقال له ابن عباس: كلّ ما قلت لنا ـ يا معاوية ـ من شرّ بين دفّتيك ! وأنت والله أولى بذلك منّا: أنت قتلت عثمان ثمّ قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه ! فانكسر معاوية ! فقال ابن عباس: والله ما رأيتك صدقت إلاّ فزعت وانكسرت ! فضحك معاوية... ولم يقضِ لهم حاجة[٢].

وكان ابن عباس يجلس بعلمه للناس، وقد اجتمع حوله حلقة من قريش، ومرّ عليهم معاوية فقاموا له إلاّ ابن عباس، فتوقّف وقال له: يابن عباس ؛ ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلاّ موجدة عليّ بقتالي إياكم في صفّين ! يابن عباس إن ابن عمي عثمان قتل مظلوماً ! وكأنه يستثيره بها !

فقال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً ! أفسلمتم الأمر إلى ولده ؟! فقال معاوية: إن عمر قتله مشرك. فقال ابن عباس: فمن قتل عثمان ؟ قال:

---

(١) أمالي الطوسي: ١٧٠ م ٦، الحديث ٣٩ عن المفيد وليس في أماليه.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٣.

المسلمون ! قال: فذلك أدحض لحجّتك أن كان المسلمون خذلوه وقتلوه ! فبهت معاوية فصرف القول وقال:

يابن عباس، فإنا قد كتبنا إلى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته ! فكفّ لسانك وأربع على نفسك ! فقال ابن عباس: أفتنهانا عن قراءة القرآن ؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله (أي تفسيره وتطبيقه) قال: نعم ! قال: فنقرأه ولا نسأل عن ما عنى به الله ؟ قال: نعم ! قال: فأيهما أوجب علينا: قراءته أو العمل به ؟ قال: العمل به ! قال: فكيف نعمل به حتّى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا ؟ قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك ! قال: فإنّما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان ؟! أو أسأل عنه آل أبي مُعيط ؟ أو اليهود والنصارى ؟! قال معاوية: فقد عدلتنا بهم وصيّرتنا منهم ! قال: لعمري ما أعدلك بهم، ولكنّك نهيتنا أن نعبد الله بالقرآن وبما فيه من أمر ونهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محكم أو متشابه ! وإن لم تسأل الأُمة عن ذلك اختلفوا وتاهوا وهلكوا ! قال معاوية: فاقرؤوا القرآن ولا تروا شيئاً فيما أنزل الله فيكم وما قاله رسول الله فيكم (منع التحديث بالحديث) وارووا ما سوى ذلك ! فتلا ابن عباس قوله سبحانه: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1].

فقال معاوية: يابن عباس اكفني نفسك وكفّ عني لسانك ! فإن كنت فاعلا فليكن ذلك سرّاً ولا يسمعه أحد منك علانية ! ثمّ بعث إليه بخمسين ألف درهم[2] !

---

(١) التوبة: ٣٢. وللتفصيل في منع الحديث انظر: تاريخ تدوين الحديث حتّى عهد معاوية.

(٢) سليم بن قيس ٢: ٧٨٢ ـ ٧٨٤، الحديث ٢٦. وتخريجه في ٣: ٩٨٨.

أُسامة بن زيد وعمرو بن عثمان:

كان النبي صلى الله عليه وآله جعل حائطاً من حوائطه في المدينة لمولاه زيد بن حارثة الكلبي أو بعده لابنه أُسامة، وكأنّ عثمان بن عفان كان قد تصرّف فيه، فلما قدم معاوية المدينة خاصمه عمرو بن عثمان على ذلك الحائط إلى معاوية بمجمع من الأمويين والهاشميين، وارتفع الكلام بينهما فقال عمرو لأُسامة: تلاحيني (تخاصمني) وأنت مولاي ! فغضب أُسامة وقال: والله ما أنا بمولاك ولا يسرّني أن أكون في نسبك ! مولاي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عمرو: ألا تسمعون بما يقابلني به هذا العبد ؟! يابن السوداء ما أطغاك ! فقال أُسامة: أنت أطغى مني وألأم، تعيّرني بأُمّي ! وأُمي والله خير من أُمك (المجنونة) هي أُمّ أيمن مولاة رسول الله وقد بشّرها رسول الله في غير مرّة بالجنة، وأبي خير من أبيك صاحب رسول الله وحِبّه ومولاه وقُتل شهيداً بمؤتة على طاعة الله ورسوله، وقبض رسول الله وأنا أمير على أبيك وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسروات المهاجرين والأنصار (كذا) فأنّى تفاخرني يابن عثمان ! فقال عمرو: يا قوم أما تسمعون بما يجبهني هذا العبد ؟!

فقام مروان فجلس إلى عمرو يدعمه، فقام الحسن عليه السلام فجلس إلى أُسامة، فقام عتبة أخو معاوية فجلس إلى عمرو، فقام عبد الله بن عباس فجلس إلى أُسامة، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى بني أُمية، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى بني هاشم. فخشى معاوية من تفاقم الأمر فقال: أقول فيه بعلمي ؟ قالوا: قل فقد رضينا. فقال: أشهد أن رسول الله جعله لأُسامة، فقم فاقبض حائطك هنيئاً مريئاً ! فقام الهاشميون وانصرفوا.

فأقبل عمرو على معاوية وقال له: لا جزاك الله عن الرحم خيراً ! ما زدت على أن كذبت قولنا وفسخت حجّتنا وشمتّ بنا عدونا ! فقال معاوية: ويحك يا عمرو ! إني لما رأيت هؤلاء من بني هاشم قد اعتزلوا ذكرت أعينهم تزوَرّ من تحت المغافر بصفين، نازعوني مهجة نفسي حتّى نجوت منهم بعد نبأ

عظيم وخطب جسيم، وما يؤمّنني منهم يابن عثمان وقد أحلّوا بأبيك ما أحلّوا ! فانصرف فنحن مخلفون لك خيراً من حائطك إن شاء الله[١] !

ولم يُذكر خبر عن لقائه بعائشة، ولعلّها لم تأذن له لقتله أخاها ابن أبي بكر بمصر فكانت تقنت عليه كما مرّ، وكأ نّه بلغه عنها أنها لا تراه أهلاً للخلافة، ودخل عليه الحسن عليه السلام ومعاوية في صدر مجلس ضيق ولم يوسع للامام فاضطره للجلوس عند رجليه ! ثمّ شكا إليه معاوية مقالة عائشة متعجباً منها، فقال له الإمام: وأعجب من ذلك جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجليك ! فضحك وجلس وقال: يابن أخي ! بلغني أن عليك ديناً ؟ كم هو ؟ قال: مئة ألف ! فأمر له بثلاثمئة ألف ! وكان يزيد مع أبيه فتعجّب من ذلك فقال له أبوه: يا بني، إنّ الحقّ حقّهم، فمن جاءك منهم فاحثُ له[٢] !

سعد ومعاوية في الطريق وفي مكة:

وكأنّ ابن أبي وقاص تنقّص معاوية في دينه من كلامه، فعزم على أن لا يكلّمه بل لا يردّ سلامه.

فقد نقل الجهشياري: أن سعداً تقدم معاوية إلى مكة فلحقه معاوية في الطريق بين الطلوعين ومعه أهل الشام، فوقف وسلّم عليه، فلم يردّ عليه سعد سلامه ! فقال معاوية لمن معه من أهل الشام: أتدرون من هذا ؟ هذا سعد صاحب رسول الله، لا يتكلم حتى تطلع الشمس ! فبلغ ذلك سعداً فقال: بل كرهت أن أُكلّمه[٣] !

---

(١) أمالي الطوسي: ٢١٢ ـ ٢١٤ م ٨، الحديث ٢٠ / ٣٧٠ عن المفيد وليس في أماليه.
(٢) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٢ عن أمالي محمد بن حبيب.
(٣) الوزراء والكتّاب: ٤٣.

وكأنّ معاوية لم يترك سعداً بل حاول أن يسعد حظّاً بمساعدة سعد له، والتقى به في طوافه، فاصطحبه معه إلى « دار الندوة » ولعلّه إحياء لمجد الجاهلية ! وكان قد أعدّ فيه لنفسه سريراً، فأجلس سعداً معه على سريره ثمّ شرع بالوقوع في عليّ عليه السلام وسبّه ! فزحف عنه سعد وقال له: أجلستني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ علي ! والله لئن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ. فذلك أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ! أو حمر النعم ! ثمّ ذكر حديث الراية في خيبر، والمنزلة في تبوك، والمباهلة في العاشرة، ثمّ قال: فايم الله لادخلت لك داراً ما بقيت ! ثمّ نهض ليقوم فضرط له معاوية وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت: ما كنت عندي قط ألأم منك الآن، فهلاّ نصرته ؟ ولم قعدت عن بيعته ؟ وكرّر هنا دعواه: إني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وآله مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليّ ما عشت !

وأعرض سعد عن جواب هذا الخطاب، ولكنّه ضربه في الصميم فقال له: والله إني لأحقّ منك بموضعك ! وكان سعد من بني زهرة ولكنّه كان ينسب لبني عُذرة ! فقال له معاوية: يأبى عليك بنو عذرة[1].

وكان قد قدم معه من الشام بمنبر وضعه عند باب البيت الحرام فكان أوّل من وضعه[2].

وكان قد حجّ معه عبدالله بن الزبير ومعه ابنه عبّاد، فروى أحمد والطبراني عنه قال: لما قدمنا مكّة ظهراً صلّى بنا الظهر ركعتين ثمّ انصرف إلى دار الندوة فقام إليه عمرو بن عثمان مع مروان بن الحكم فقالا له: ألم تعلم أن ابن عمّك عثمان قد أتمّ الصلاة بمكّة ! قال: ويحكما قد صلّيتهما مع رسول الله وأبي بكر

(١) مروج الذهب ٣: ١٤ ـ ١٥ عن الطبري والنوفلي.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٢.

وعمر ركعتين ! قالا: فإنّ ابن عمّك قد أتمها وإن خلافك إياه عيب عليه! فوعدهما بذلك وصلّى العصر أربعاً[١]!

ولمّا حجّ لم يلبِّ في عرفات والمشعر الحرام ومنى قبل الرمي[٢] ولما كان العيد أمر مؤذنه أن يؤذن لصلاة العيد خلافاً للسنة الجارية المعمولة بالنداء بالصلاة فقط[٣] ثمّ قدّم الخطبتين قبل الصلاة[٤].

وذلك أن الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لئلاّ يسمعوا لعن عليّ عليه السلام فقدّم الخطبة ليسمعهم ذلك[٥].

ثمّ وصل معاوية من حجّه إلى الشام، ووصل الأزديّ الشامي إلى البصرة أميراً عليها لأول محرم سنة (٤٥ هـ).

هذا وقد مرّ عن البصرة في أواخر عهد ابن عامر أنّها كانت قد انتشر أمرها وضعفت إدارتها، ولم يتغيّر حالها ووضعها عما كانت عليه في الأشهر الأربعة من حكم الأزدي الشامي، فاستبد له بزياد.

إمرة زياد على البصرة:

بدأ حكم زياد على البصرة في آخر شهر ربيع الآخر أو أول جمادى الأُولى، هذا والفسق بها ظاهر فاش[٦].

وقد روى عن الوصيّ عن النبيّ قال: « كل أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أبتر »[٧] ولذا نقل الجاحظ: أن خطباء السلف الطيّب ما زالوا يسمّون الخطبة

---

(١) الغدير ١٠: ١٩٠ ـ ١٩١.
(٢) الغدير ١٠: ٢٠٥ ـ ٢١١.
(٣) الغدير ١٠: ١٩١ ـ ١٩٥.
(٤) الغدير ١٠: ٢١١ ـ ٢١٣.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٣.
(٦) تاريخ الطبري ٥: ٢١٦ ـ ٢١٧.
(٧) بحار الأنوار ٧٦: ٣٠٤ عن تفسير الإمام.

ـ التي لم تُبتدأ (بالتسمية) والتحميد والتمجيد ـ بالبتراء، والتي لم تزيّن بالصلاة على النبيّ بالشوهاء. ثمّ روى بسنده: أن زياداً في بدء أمره بالبصرة خطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها أو لم يسمّ وحمد فقال:

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه، اللهمّ كما رزقتنا نعماً فألهمنا شكراً على نعمتك علينا. أما بعد: فإن الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء والغيّ المدني بأهله على النار الباقي عليهم سعيرها: ما فيه سهفاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأُمور العظام، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشاها الكبير، كأن لم تسمعوا بآي الله ولم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركككم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله ! وهذه المواخير المنصوبة ! ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دَلَج الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة وباعدتم الدين ! تعتذرون بغير العذر، وتغضّون على المختلس، كل امرئ منكم يذبّ عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ! ما أنتم بالحلماء وقد اتّبعتم السفهاء ! ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ! حرام عليَّ الطعام والشراب حتّى أُسوّيها بالأرض إحراقاً وهدماً ! وإني أُقسم بالله لآخذن الولي بالوليّ والمقيم بالطاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول له: أُنج سعد فقد هلك سعيد ! أو تستقيم لي قناتكم ! إياي ودلج الليل فإني لا أُوتي بمدلج إلاّ سفكت دمه، وقد أجّلتكم في ذلك بقدر ما يصل الخبر الكوفة ويرجع إليَّ ! وإياي ودعوى الجاهلية ! فإني لا أجد أحداً دعا بها إلاّ قطعت لسانه ! فمن غرّق قوماً غرّقته ! ومن حرّق على قوم حرّقناه ! ومن نقب بيتاً نقّبت عن قلبه ! ومن نبش قبراً دفنته

فيه حيّاً ! فكفّوا عنّي أيديكم وألسنتكم أكفف يدي وأذاي ! لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامّتكم إلاّ ضربت عنقه ! وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كلّ امرئ منكم أن يكون من صرعاي ! ولست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني بليل.

فقام الصحابي أبو بلال مرداس بن أُدية وقال له: قال الله: ﴿**أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْاِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾[1] فأنبأنا الله بغير ما قلت وأوعدنا خيراً مما واعدت يا زياد !

فقال زياد: انا لا نجد إلى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتّى نخوض إليكم الباطل خوضاً[2].

واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن العبيدي (أو اليربوعي) وجعلهم أربعة آلاف. وقيل له: إن السبل مخوفة ! فقال: لا أُعاني شيئاً الآن وراء هذا المصر حتّى أغلب على المصر وأصلحه. وكان يؤخّر صلاة العشاء حتّى يكون آخر من يصلّي، ثمّ يأمر رجلا يرتل سورة البقرة، ثمّ يمهل بقدر ما يبلغ شخص محلة الخريبة بالبصرة القديمة، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فلا يرى أحداً إلاّ قتله !

وقدم البصرة أعرابي ببقرة له حلوب وغشيه الليل فأقام بموضع ليصبح، ولا علم له بنداء زياد، فأخذوه إليه فسأله عن ندائه فقال: لا والله لا علم لي بما كان من الأمير ! قال: أظنك صادقاً ولكن في قتلك صلاح هذه الأُمة ! فضرب عنقه.

---

(١) النجم: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ البصري ٢: ٦١ ـ ٦٦، والأخبار الموفقيات: ٣٠٤ بمختلف الروايات، والطبري ٥: ٢١٨ ـ ٢٢١.

فجرّد السيف وأخذ بالظنّة وعاقب على الشبهة، فخافه الناس خوفاً شديداً حتّى أمن بعضهم بعضاً، وحتّى كانت المرأة تبيت فلا تغلق عليها بابها ! وحتّى كان يسقط شيء من أحد فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ! وحتى كان يقول: لو ضاع بيني وبين خراسان حبل لعلمت من أخذه ! فكان أول من أكّد الملك لمعاوية وألزم الناس طاعته وشدّ من أمر السلطان، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله.

وبنى مدينة الرزق (وكانت من مسالح الفرس بالبصرة) فكانت بيت المال، وأدرّ العطاء عليهم، وكتب خمسمئة من مشايخ أهل البصرة في صحابته ما بين الثلاثمئة إلى الخمسمئة (درهم أو دينار)[1] !

واستعان بعدة من الصحابة فاستقضى عمران بن حُصين الخزاعي، ثمّ سَمُرة بن جُندَب الأنصاري، ثمّ أنس بن مالك، ثمّ عبد الله بن فضالة الليثي ثمّ أخاه عاصم بن فضالة ثمّ زرارة بن أوفى الحريثي وقد تزوّج زياد أُخته.

واتّخذ خمسمئة من شرطته حرّاساً مرابطين لا يبرحون المسجد (والقصر) عليهم شيبان السعدي التميمي، ومشوا بين يديه بالحراب والعمد !

وجعل خراسان أربعة أقسام:فجعل على مرو أمير بن أحمر اليشكري الهمداني، وعلى أبرشهر خُليد بن عبد الله الحنفي، وعلى مرو الرود والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم، وعلى هراة وبادغيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ عن النميري البصري عن المدائني البصري وغيره، وعنه قبله في الموفقيات: ٣٠٧ وفيه: أنه صحّ أوّل يوم بسبعمئة رأس بباب القصر: وفي الآتية بخمسين رأساً ! وفي الثالثة برأس واحد ! ولعلّه هو الأعرابي التالي خبره.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٤ عن النميري البصري عن المدائني البصري وغيره.

وحمل الدؤلي على تنقيط المصحف:

مرّ الخبر أن عليّاً عليه السلام بعد الجمل بالبصرة علّم أبا الأسود الدؤلي النحو. وكان زياد بن أبيه يومئذ مع الإمام عليه السلام وعلم بذلك.

فنقل ابن النديم، عن أبي عبيد البصري قال: بعث زياد إلى أبي الأسود وأمره أن يعمل شيئاً يُعرف به (حركات) كتاب الله، فاستعفاه من ذلك. ثمّ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بكسر اللام ! فقال: ما ظننت أنه قد آل أمر الناس إلى هذا ! فرجع إلى زياد وقال له: أفعل ما أمر به الأمير ! فليبغني كتاباً لَقناً يفعل ما أقول. فأُتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأُتي بآخر (منهم) فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يديه، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[1].

وأخذ يقرأ القرآن بالتأنّي والكاتب يضع النقط، وكلّما أتمّ الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها، واستمر على ذلك، حتّى أعرب المصحف كلّه، فجرى الناس على طريقته. ثمّ زاد أتباعه علامات أُخرى للسكون ولألف الوصل، ووضع أهل المدينة علامة للحرف المشدّد[2].

أراد يزيد ورشّحوا غيره فقتله:

ومنذ سنة (٤٥) بدأ أبو يزيد بالتمهيد لترشيحه لولاية عهده من بعده، فاختار قائداً سابقاً من قوّاد غاراته: سفيان بن عوف الغامدي ووجّهه لغزو ثغر الروم إلى

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام: ١٦٣ عن الفن الأول من المقالة الثانية من الفهرست، وعنه في التمهيد ١: ٣١٠ ـ ٣١١ ولكنه قال: كان والياً على الكوفة، والصحيح: كان ذلك بالبصرة حيث أبو الأسود البصري، وانظر تاريخ القرآن للزنجاني: ٩٦.

(٢) انظر تاريخ القرآن للزنجاني: ٩٦.

قرية انطوانة، وأرفق معه ابنه يزيد ومعه زوجته أُم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، فتقدموا حتى بلغوا الفرقدونة وأصاب طاعون كثيراً منهم، ويزيد متخلّف عنهم بدير مُرّان، وبلغه ذلك وهو مع ندمائه على شرابه مع أُم كلثوم فقال:

أهون عليّ بما لاقت جموعهم
يوم الطّوانة[1] من حمّى ومن موم!

إذا اتّكأت على الأنماط مرتفقاً
بدير مُرّان، عندي أُمّ كلثوم !

وبلغ ذلك معاوية وكان على خلاف مرامه منه فقال: والله ليغزونّ ! وأردف معهم أبا أيوب الأنصاري، فبلغوا إلى أبواب القسطنطينية ومات أبو أيوب فدفن هناك[2].

وفي شتاء سنة (٤٦ هـ) أغزى معاوية عبد الرحمان بن خالد بن الوليد من عمله على حمص إلى ثغور الروم، فغزاهم وعاد، وكان قد عظم شأنه بالشام ومال أهلها إليه لغنائه بأرض الروم وبأسه[3].

وبدأ معاوية يبدي قوله بكبر سنّه ودنوّ أجله، يريد التمهيد ليزيد، فخطبهم وقال: يا أهل الشام، إنه قد كبرت سنّي وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم فرؤا رأيكم ! فقالوا: قد رضينا بعبد الرحمان ابن خالد بن الوليد ! فشق ذلك على معاوية وأسرّها في نفسه، وكان له طبيب نصراني أو يهودي مكين عنده يقال له: ابن أثال، ومرض عبد الرحمان،

---

(١) (أو: بالقدقدونة).

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٤ وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٩، وفي رجال الكشّي: ٣٨، الحديث ٧٧: سئل الفضل بن شاذان عن قتال أبي أيوب مع معاوية فقال: كانَ ذلك منه أ نّه ظنَّ ظنّاً أ نّه إنّما يعمل عملا يقوي به الإسلام ويوهن به الشرك وأ نّه ليس عليه من معاوية شيء كان معه و لم يكن وكانَ ذلك منه غفلة وقلّة فقه !

(٣) الطبري ٥: ٢٢٧ ونحوه في اليعقوبي ٢: ٢٢٣.

فأمر معاوية طبيبه أن يذهب إليه فيسقيه ما يقتله به ! فأتاه وسقاه فانخرق بطنه ومات بحمص، فولاّه معاوية خراجها ووضع عنه خراجه[١].

المغيرة الثقفي وحجر الكندي:

مرّ الخبر عن وصية معاوية الأكيدة الشديدة على المغيرة عند توليته الكوفة بعدم الكفّ عن الكفر بسبّ إمام الإيمان أمير المؤمنين عليه السلام، وكيفية مقالة المغيرة في ذلك.

فروى الطبري، عن الكلبي، عن أبي مخنف، عن الشعبي ـ وهو يمدح المغيرة ـ أنّ حُجر بن عَدي الكندي لما سمع المغيرة قال ذلك قام فقال: إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿**كُونُوا قَوَّامينَ بالْقسْط شُهَدَاءَ لله**﴾[٢] فأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيّرون لأحقّ بالفضل، وأنَ من تزَكّونَ وتطرون أولى بالذم !

فقال له المغيرة: يا حُجر ! ويحك ! اتّق السلطان، اتّق غضبه وسطوته، فإنّ غضبة السلطان أحياناً مما يهلك كثيراً أمثالك ! ثمّ يصفح عنه.

ودعا المغيرة يوماً على قتلة عثمان، وقد بلغ الكبر، فقام حُجر عليه ونعر نعرة أي صيحة شديدة قال له: أيها الإنسان، إنك لا تدري بمن تولع من هرمك ! أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين ! وقد حبست عنّا أرزاقنا

---

(١) انظر الغدير ١٠: ٢٣٣ عن ترجمة عبد الرحمان في الاستيعاب ؛ لأنه كان قد أدرك النبيّ فعدّه في الأصحاب. وقال: ثمّ دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً، وكان ابن أثال يسمر عند معاوية فخرجوا من عنده ومعه قوم، فهجم المهاجر وغلامه عليهم فهرب القوم وقتل ابن أثال. ونقل عن الأغاني قال: قتله خالد بن المهاجر، وأُخذ إلى معاوية فقال له: لا جزاك الله من زائر خيراً ! قتلت طبيبي ؟! فقال: قتلت المأمور وبقي الآمر ! وقال أبو عمر: وهي قصة مشهورة في أهل العلم بالآثار والأخبار، ومنهم النميري البصري في أخبار المدينة. يعني تاريخ المدينة المحقق والمنشور ولكن ليس هذا فيه ! وفي اليعقوبي ٢: ٢٢٣: قتله خالد بن عبد الرحمان بإثارة المنذر بن الزبير بن العوّام ! فحبسه معاوية أياماً حتى أدّى ديته فأطلقه، وانظر الطبري ٥: ٢٢٤ عن النميري البصري، عن المدائني البصري.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، والآية ١٣٥ من سورة النساء.

وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك فأمر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا. فقام معه أكثر من ثلثي الناس يتنادون: برّ والله حجر وصدق، مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فانا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا شيئاً ! فسكت المغيرة ونزل ودخل.

فدخل عليه قومه فكان أشدّهم عليه عبد الله بن أبي عقيل الثقفي عظّموا عليه أمر حُجر وقوله وجرأته عليه وسخط معاوية عليه إذا بلغه ذلك ووهن سلطانه.

فقال لهم: إنه قد اقترب أجلي وضعف عملي، ولا أُحبّ أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم ! وسفك دمائهم ! فيسعدوا بذلك وأشقى ! ويعزّ في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة ! وسيذكروني لو قد جرّبوا العمّال بعدي، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيفعل شبيهاً بما ترونه يصنع بي فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّ قتلة[1] !

وكتب معاوية إلى المغيرة أن يمدّه بمال، فجهّز له المغيرة قافلة، فلما فصلت القافلة جاء حُجر بجمع من أصحابه فحبس القافلة وقال حجر: والله لا تذهب حتّى يُعطى كل ذي حقّ حقّه (المتأخر) وقال شباب ثقيف للمغيرة: ائذن لنا نقتله ! فقال: ما اقتل حُجراً أبداً ! فبلغ ذلك معاوية فأراد عزله[2].

وبلغ ذلك المغيرة فأراد أن يدرك ذلك فيستدركه، فقدم عليه وشكا إليه ضعفه واستعفاه. وكان مع المغيرة كاتبه ابن خنيس فأحسّ أن معاوية يريد أن يولي الكوفة سعيد بن العاص الأموي وانتهى الخبر إلى المغيرة، فدخل على

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) تاريخ الشام لابن عساكر ٤: ٨٤، وعنه في تعاليق الغارات ٢: ٨١٥.

يزيد بن معاوية، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فعرّض بالبيعة له بالكوفة بولايته العهد[١] ! ولعلّه لعلمه بتمهيد معاوية له.

المغيرة وولاية العهد ليزيد:

دخل المغيرة على يزيد وقال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم ! وأحسنهم رأياً ! وأعلمهم بالسنّة والسياسة ! ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين ! أن يعقد لك البيعة ! فقال يزيد: أو ترى يتمّ ذلك ؟ قال: نعم ! فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة.

فأحضر معاوية المغيرة وسأله: ما يقول يزيد ؟ قال: يا أمير المؤمنين ! قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان ! وفي يزيد منك خلف ! فاعقد له، فإنْ حدث بك حادث كان للناس كهفاً ومنك خلفاً، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة !

فقال معاوية: ومن لي بهذا ؟ قال: أنا أكفيك أهل الكوفة، وزياد يكفيك أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك ! قال: فارجع إلى عملك وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى. فودّعه وعاد إلى أصحابه فقال لهم: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أُمّة محمّد (كذا) وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً[٢] !

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٠١ ـ ٣٠٢ عن المدائني، عن الشعبي. وفي الإمامة والسياسة: ١٦٥: أنه فاتح معاوية بذلك رأساً.

(٢) الكامل لابن الأثير ٣: ٢١٤، وانظر الغدير ١٠: ٢٢٩.

المغيرة يكفّر معاوية:

قضي مرام المغيرة من سفرته هذه، وحيث تزلّف فيها إلى معاوية، وتحدّث معه عن كبر سنّه ورغّبه في تولية عهده ليزيد، كأ نّه طمع فيه أن يبسط عدلا ويظهر خيراً، ويصل أرحام بني هاشم، وكان يذهب إليه في الليالي يتحدّث معه، فخلا به ليلة فقال له:

يا أمير المؤمنين ! إنك قد بلغت سنّاً وقد كبرت، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيراً، ونظرت إلى إخوتك من بني هاشم ! فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه !

فقال له: هيهات هيهات ! أيّ ذكر أرجو بقاءه ! ملك أخو تيم (أبو بكر) فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتّى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر ! ثمّ ملك أخو عدي (عمر) فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر ! ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعُمل به، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به ! وإن أخا هاشم ـ أو: ابن أبي كبشة ـ يصرخ به في كل يوم خمس مرّات: « أشهد أن محمّداً رسول الله » فأيَّ عمل يبقى مع هذا ؟ لا أُمّ لك ؟! لا والله إلاّ دفناً دفناً !

نقل الخبر الزبير بن بكار، عن المدائني، عن مطرّف بن المغيرة قال: كان أبي يذهب كلّ ليلة فيتحدّث مع معاوية ثمّ ينصرف إليّ فيذكر من عقله ويُعجب برأيه ! وعاد ذات ليلة مغتماً وأمسك عن العشاء فانتظرته ساعة ثمّ قلت له: ما لك أراك مغتماً ؟ فقال لي: يا بنيّ ! جئتك من عند أخبث الناس وأكفرهم ! قلت: وما ذاك ؟ قال: فحدّث بذلك الحديث[1] !

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤٥٤ عن الموفّقيات للزبير بن بكار، والاربلي في كشف الغمة ٢: ٤٢ عنه كذلك، وشرح النهج للمعتزلي ٥: ١٢٠ كذلك، ونقله المسعودي عن نديم المأمون للمأمون أيضاً.

وفد العراق لولاية عهد يزيد:

أجل، أجّل المغيرة عشاءه مع ابنه المطرّف مغتماً مما هاله من اكتشاف أشدّ الخبث والكفر والنفاق في صاحبه وأميره معاوية، وإلاّ فإنّ هذا لم يحرّك فيه الغيرة ليغيّر على معاوية ما وعده به من كفايته أمر أهل الكوفة لحملهم على الإذعان بولاية يزيد لعهد أبيه معاوية، بل عاد إلى الكوفة وأخذ يذاكر من عرفه بتشيّعه لمعاوية وبني أُمية في أمر يزيد، فأجابه جماعة منهم إلى ذلك، فأوفد منهم وفداً: عشرة مع ابنه الآخر موسى، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم لكلّ واحد منهم ثلاثة آلاف ! أو أربعين رجلا مع ابنه الآخر عروة بأربعمئة دينار لكلّ واحد منهم عشرة دنانير !

فلما دخلوا على معاوية قالوا له: إنهم إنما شخصوا إليه للنظر في أمر أُمة محمّد (صلى الله عليه وآله) ! ثمّ قالوا له:

يا أمير المؤمنين ! لقد كبر عمرك وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علماً وحدّ لنا حدّاً ننتهي إليه !

فقال لهم: أشيروا علي ! فقالوا: نشير عليك بابنك يزيد ! فقال لهم: أو قد رضيتموه ! قالوا: نعم ! قال: وهذا رأيكم ؟ قالوا: نعم ومن معنا من ورائنا ! فقال لهم: ننظر ما قدمتم له ويقضي الله ما أراد ! والأَناة خير من العجلة ! فكونوا على رأيكم ولكن لا تعجلوا بإظهاره !

ثم سأل موسى سرّاً: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال: بثلاثين ألف درهم ! أو قال ذلك لعروة فقال: بأربعمئة دينار ! فقال: لقد هان عليهم دينهم ! أو: لقد وجد دينهم رخيصاً عندهم[1] !

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣: ٢١٤ ـ ٢١٥، وانظر الغدير ١٠: ٢٢٩ ـ ٢٣٠. ولم يذكره الطبري.

وإنّ رخص دين هؤلاء العراقيين الكوفيّين الأمويين وهوان دينهم عليهم وإذعانهم لولاية عهد يزيد، أطمع معاوية في البصريّين العثمانيين ولعلهم كانوا أولى بذلك، والمغيرة كان قد أغرى معاوية في ذلك بزياد وهو أولى بذلك إذ أصبح عمّ يزيد ! ومع ذلك اكتفى معاوية في كتابه إلى زياد باستشارته في ذلك ! بدون أن يخبره بما فعل المغيرة ووفده، فكتب زياد إليه يشير عليه بالتوئدة وأن لا يعجل في ذلك، وقبل منه معاوية فكفّ عنه بعض الشيء.

وعمد زياد إلى عبيد بن كعب النميري البصري وقال له: إن أمير المؤمنين ! كتب إليّ يستشيرني في عزمه على بيعة ابنه يزيد ! وهو يتخوّف نفرة الناس من ذلك ! ذلك أنّ يزيد صاحب رسلة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد ! فما تقول ؟

فقال: أنا ألقى عنك يزيد سرّاً عن أبيه معاوية فأخبره عنك أن أباه معاوية كتب إليك يستشيرك في بيعته، وأنك تخاف خلاف الناس، لهنات ينقمونها عليه، وأنك ترى له ترك ما ينقم عليه، فتستحكم له الحجة على الناس، ثمّ شخص وفعل ما قاله[١].

موت المغيرة وزياد على العراقين:

لعلّه لم يمرّ على عودة وفد المغيرة عهد بعيد حتّى لحقهم الطاعون بالكوفة، فهرب المغيرة من الطاعون وخفّ الطاعون فعاد إليها فأُصيب بها ومات في سنة تسع وأربعين[٢] في شهر شعبان[٣] وكان رجلاً طوالاً أعور أُصيبت عينه في اليرموك، مات وهوابن سبعين سنة. فكتب معاوية إلى زياد بعهده على الكوفة مع

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٠٢ عن المدائني البصري باختصار.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٣، ومروج الذهب ٣: ٢٤، وهذا التاريخ أوفق مع سائر الحوادث التالية.
(٣) تاريخ خليفة: ١٢٨، والطبري ٥: ٢٣٤.

البصرة، وكان سُمرة بن جُندَب الأنصاري بعد زيارته معاوية وتأويله له الآيتين من سورة البقرة بشأن أمير المؤمنين علي عليه السلام وقاتله ابن ملجم بالتحريف، كان قد قدم البصرة، فاستخلفه زياد عليها وشخص بأهله إلى الكوفة، فأقام بها إلى آخر تلك السنة ستة أشهر، ثمّ أخذ يختلف بينها وبين البصرة كل ستة أشهر[١].

زياد أميراً على الكوفة:

دخل زياد الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شرطة البصرة (كذا) ثمّ ذكرت أنكم أهل حقّ ! فأتيتكم في أهلي... فحصبوه حتّى أمسكوا ! فدعا خاصّته، وأمر فوضع له كرسيّ على باب المسجد (وسدّ سائر الأبواب) ثمّ أمر أن يخرجوا أربعة أربعة ! فيحلفون له أنهم لم يحصبوه، فمن لم يحلف منهم عزله وحبسه، فكانوا ثمانين أو ثلاثين رجلا ! فأمر بهم فقطعوا أيديهم في المكان ! ثمّ أمر فبنوا له المقصورة للمحراب كما فعل معاوية.

وأتاه عُمارة بن عُقبة بن مُعيط الأُموي الذي كان قد بقي بالكوفة جاسوساً لمعاوية، ومعه يزيد بن رُويم الشيباني وعمرو بن حُريث المخزومي، فأخبره الأوّلان: أن « شيعة أبي تراب » يجتمعون إلى عمرو بن الحمق الخزاعي ! فقال الثالث المخزومي: ما يدعوك إلى رفع تقرير فيما لا تتيقّنه ولا تدري عاقبته ! بل ما كان (عمرو بن الحمق) أكثر إقبالا على ما ينفعه منه اليوم ! فأمرهم زياد أن يقوموا إليه ويقولوا له عنه: ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك ؟! من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد. ثمّ قال: ولو علمت أن مخّ ساقه يسيل من بغضي فلا أُهيجه حتّى يخرج عليّ[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

وكان من بقايا خوارج النهروان بالبصرة: زحّاف الطائي وقريب الايادي وكانا ابني خالة، وكأ نّهم تجرّؤوا بعد خروج زياد منها إلى الكوفة أن يخرجوا بها في شهر رمضان سنة (٤٩ هـ) ومعهم سبعون رجلا من بني يشكر من همدان، فأمر زياد خليفته سمرة بالاشتداد عليهم، واشتد سمرة بالبصرة حتّى أ نّه لما عاد زياد إليها في أول سنة الخمسين كان سمرة قد استعرض أهل البصرة فقتل منهم ثمانية آلاف ! فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً أحداً ! قال: لو كنت قتلت معهم مثلهم ما خشيت من ذلك ! وكان منهم سبعة وأربعون من بني عديّ من قرّاء القرآن وحفّاظه[١].

كان يؤتى بالرجل فيقول له: ما دينك ؟ فيشهد الشهادتين ويتبرّأ من الخوارج، ومع ذلك يقتله[٢].

فعزله معاوية، فكان يقول: لعن الله معاوية ! والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذّبني أبداً[٣] !

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٩٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢٩١. وفي تهذيب ابن حجر ٤: ٢٣٧: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد قال له ولأبي هريرة وأبي محذورة: آخركم موتاً في النار ! فمات أبو هريرة في المدينة سنة (٥٩) وبقي هو بالبصرة وأبو محذورة بمكة فكان كلّ منهما يسأل المسافرين عن الآخر حتى مات أبو محذورة قبل سمرة كما في أنساب الأشراف ١: ٥٢٧ فأخذت سمرة الزمهريرة وكزاز شديد فكان يتعالج بالقعود على قدر مملوءة ماء حارّاً فسقط فيها فمات آخر تسع وخمسين، كما في أسد الغابة ٢: ٣٥٥ أو بالكوفة بعد قتل الحسين عليه السلام وعقبه بها كما في المعارف لابن قتيبة: ٣٠٥ وقال: قال النبي ذلك لعشرة من أصحابه ! وفي البلاذري قال: آخر أصحابي موتاً وهما تحريف.

وتعقّب المولى سعيد بن سرح:

مرّ في أخبار صلح الإمام عليه السلام أخذه الأمان لعامّة أصحابه ولخاصّة منهم، ولم يذكر فيهم سعيد بن سرح، ولكن ابن خلّكان قال: لما استلحق معاوية زياداً وقرّبه وأحسن إليه وولاّه، صار من أكبر الأعوان على بني علي (رضي الله عنه) حتّى قيل: إنّ زياداً لما كان أمير العراقين طلب رجلا من أصحاب الحسن (رضي الله عنه) يعرف بابن سرح، وكان في الأمان الذي كتبه لأصحابه (رضي الله عنه) فكتب الحسن إلى زياد: « من الحسن إلى زياد، أما بعد، فقد علمت ما كنّا أخذنا لأصحابنا من الأمان، وقد ذكر لي ابن سرح أنك عرضت له، فأحبّ أن لا تعرض له إلاّ بخير، والسلام »[1].

وروى المعتزلي، عن الشرقي بن القطامي قال: كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس « شيعة » لعلي عليه السلام، فلما قدم زياد الكوفة طلبه، فخافه فأتى الحسن عليه السلام مستجيراً به، فوثب زياد على أهله وأولاده وأخيه فحبسهم ! وصادر أمواله ونقض داره ! فكتب الحسن عليه السلام إلى زياد:

« من الحسن إلى زياد، أما بعد، فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله وحبست أهله وعياله ! فإن أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه عياله وماله، وشفّعني فيه، فقد أجرته، والسلام ».

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان ! إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي ! وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة !

---

(١) وفيات الأعيان ٢: ٣٨٨ ط بولاق، في ترجمة يزيد بن المفرّغ الحميري. ونقل مثله المعتزلي في شرح النهج ١٦: ١٨ عن المدائني البصري وهو الأصل في الخبر. وانظر مسند الإمام المجتبى للعطاردي: ب ٥٧.

وتأمرني فيه بأمر المطاع المسلّط على رعيّته ! كتبت إليّ في فاسق آويته إقامة منك على سوء الرأي ! ورضا منك بذلك وايم الله لا تسبقني به ولو كان بين جلدك ولحمك وإن نلت بعضك ! غير رفيق بك ولا مرع عليك ! فإنّ أحبّ لحم عليّ أن آكله للَّحم الذي أنت منه ! فسلّمه بجريرته (؟) إلى من هو أولى به منك ! فإن عفوتُ عنه لم أكن شفّعتك فيه ؟ وإن قتلته فلا أقتله إلاّ لحبّه أباك الفاسق ! والسلام.

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السلام قرأه وتبسّم، وكأنّه عليه السلام علم أنّه إنما غضب لعدم نسبته في كتابه إلى أبي سفيان ! فكتب في جواب كتابه: « من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية ! أما بعد، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: « الولد للفراش، وللعاهر الحجر » والسلام. وكتب بذلك إلى معاوية وضمّ إليه كتاب زياد.

فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام ! وكتب إلى زياد: أما بعد فإنّ الحسن بن علي بعث إليّ بكتابك إليه جواباً عن كتاب كتبه إليك في ابن سرح، فأكثرت العجب منك ! وعلمت أن لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية ! فأ مّا الذي من أبي سفيان فحلم وحزم ! وأما الذي من سميّة فما يكون من رأي مثلها ! ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرّض له بالفسق، ولعمري إنك الأولى بالفسق من أبيه ! فأمّا أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك فإنّ ذلك لو عقلت لا يضعك ! وأما تسلّطه بالأمر فحقّ لمثل الحسن أن يتسلّط ! وأ مّا تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظّ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا ورد عليك كتابي فخلّ ما في يديك من سعيد بن سرح وابنِ له داره واردد عليه ماله ولا تعرض له، وقد كتبت إلى الحسن أن يخيّره: إن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، فلا سلطان لك عليه بيد أو لسان !

وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أُمّه ولا تنسبه إلى أبيه، فويحك إن الحسن من لا يُرمى به في رجوان (الآبار) وإلى أيّ أُمّ وكلته ـ لا أُمّ لك ـ أما علمت أنّها فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم (بلا آله) فذلك ـ إن كنت تعلمه وتعقله ـ أفخر له[١].

وكان ذلك من الإمام عليه السلام إنكاراً لمنكر معاوية في استلحاقه زياداً، ومن زياد زيادة في قيادة الشرّ والضرّ، ومن معاوية محاولة لتلميع صورته وتخفيض صوت الإمام بإنكار منكرات معاوية، ولا نملك دليلا على أن لا يكون من بعض التأثر بشيء من نصيحة المغيرة له، وليمهّد لعهد يزيد.

مصاهرة معاوية لبني هاشم:

لم يطمع معاوية في مصاهرة الحسنين عليهما السلام ولكنّه طمع في مصاهرة عبد الله بن جعفر وزينب ابنة علي والزهراء عليهما السلام، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه أن يخطب ليزيد ابنة عبد الله بن جعفر من زينب: أُم كلثوم[٢] لصلح الحيّين بني أُميّة وبني هاشم، وعلى قضاء ديون ابن جعفر وحكمه لصداق ابنته. فبعث مروان إلى ابن جعفر يخطب إليه، فقال عبد الله: إن أمر نسائنا إلى الحسن بن علي فاخطب إليه. فأتى مروان الحسن عليه السلام خاطباً، فقال له الحسن عليه السلام: اجمع من أردت، فأرسل مروان فجمع الحيّين بني أُمية وبني هاشم.

وتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب (أُم كلثوم)[٣] بنت عبدالله بن جعفر ليزيد بن معاوية

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ١٩٤ ـ ١٩٥. ومختصر الخبر في مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٧. وأقدم النصوص في البيان والتبيين : ٣٦١، ثم أنساب الأشراف ٣: ٥٣ ثم تاريخ دمشق ١٨: ١٨٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٤، وانظر المعارف لابن قتيبة: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) في مقتل الخوارزمي ١: ١٢٤: زينب، خطأ.

على صلح الحيّين بني أُمية وبني هاشم، وعلى حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ ! ويزيد بن معاوية كفؤ من لا كفؤ له ! ولعمري لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبط يزيد بكم ! فيزيد ممّن يُستسقى بوجهه الغمام ! وسكت.

فتكلم الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما ما ذكرت من حكم أبيها في الصّداق ؛ فإنا لم نكن لنرغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهله وبناته ! وأما قضاء دين أبيها ؛ فمتى قضت نساؤنا بمهورهن ديون آبائهن ؟! وأما صلح الحيّين ؛ فنحن عاديناكم لله وفي الله، فلا نصالحكم للدنيا ! وأمّا قولك: يزيد كفؤ من لا كفؤ له ؛ فأكفاؤه اليوم أكفاؤه بالأمس لم يزده سلطانه ! وأما قولك: من يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا ؛ فإن كانت الخلافة قادت النبوّة فنحن المغبوطون، وإن كانت النبوّة قادت الخلافة فهو المغبوط بنا، وأما قولك: إن الغمام يستسقى بوجه يزيد، فإن ذلك لم يكن إلاّ لآل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال: فاشهدوا جميعاً: أني قد زوّجت أُم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمئة وثمانين درهماً، وقد انحلتهما ضيعتي بأرض العقيق، وإن نحلتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنى إن شاء الله.

فقال مروان: أغدراً يا بني هاشم ! فقال الحسن عليه السلام: واحدة بواحدة.

وكتب مروان بذلك إلى معاوية[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٤ ـ ٤٥ ثمّ نقل أبياتاً، وفي مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٢٤، وأبو القاسم: محمد بن جعفر كان في فتح تستر فقتل شهيداً، وله مقبرة عامرة خارج بلدة دزفول. فلم يكن يومئذ حاضراً، كما في المعارف أيضاً.

وفود البصرة في عهد سَمُرة:

غيّر موت المغيرة الوضع في العراقين لصالح أمير الفاسقين معاوية، فقد خفّف المغيرة في آخر عمره في الكوفة، وأبى زياد العمل لعهد يزيد بالبصرة، فأرسله معاوية إلى الكوفة ليتشدّد له عليهم، وتخلو البصرة منه فيستوفد منها لعهد يزيد، وهكذا فعل.

وأطول ما بأيدينا من الأخبار عن أقوال الرجال بمحضر وفد البصرة كتاب « تاريخ الخلفاء » للدينوري المعروف بالإمامة والسياسة، فيما فيها من التصريح بكونها على عهد الحسن عليه السلام أي في عام (٤٩ هـ)، واختصر أخباره المسعودي في « مروج الذهب » وأرّخ الوفد بسنة (٥٩ هـ) وحذف منها التصريح بكونها في عهد الحسن عليه السلام، والراجح هو الأول، ونختار اختصار المسعودي، قال:

وفي سنة تسع [وأربعين] وفد على معاوية وفد الأمصار من العراق وغيرها، ومنهم الأحنف بن قيس التميمي السعدي في آخرين من وجوه الناس.

وكان الضحاك بن قيس الفهري القرشي أمير شرطة معاوية، ففاتحه معاوية بتوليته عهده ليزيد وقال له: إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله ! فإذا فرغت من كلامي فقم وقل في يزيد ما يحقّ له عليك ! وادع الناس إلى بيعته، وقد أمرت عبد الرحمان بن عثمان الثقفي، وعبد الله بن عضاة الأشعري، وثور بن معَن السلمي: أن يصدّقوك في كلامك ! وأن يجيبوك إلى دعوتك !

ولما كان الغد قعد معاوية وأُدخلوا عليه، فخطبهم فأعلمهم بما رأى من حسن رعاية ابنه يزيد وهديه ! وأن ذلك دعاه إلى أن يولّيه عهده ! فقام الضحاك فأجابه إلى ذلك وحضّ الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية: اعزم على ما أردت ! فقام عبد الرحمان الثقفي ثمّ عبد الله بن عضاة الأشعري ثمّ ثور بن معن

السلمي فصدّقوهما، والأحنف ووفده حضور سكوت، فقال معاوية: أين الأحنف بن قيس ؟ فقام الأحنف فقال: إنّ الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان يؤتنف، ويزيد حبيب قريب، فإن تولّه عهدك فعن غير كبر مفن، أو مرض مضن، وقد حلبت الدهور وجرّبت الأُمور، فاعرف من تسند إليه عهدك ومن تولّيه الأمر بعدك، واعصِ رأي من يأمرك ولا يقدّر لك، ويشير عليك ولا ينظر لك[1] وأنت أنظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة ! مع أنّ أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن عليه السلام حيّاً[2].

فقام الضحاك الفهري مغضباً فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال لمعاوية: اردد رأيهم في نحورهم ! وقام عبد الرحمان الثقفي فتكلم بمثله، ثمّ قام رجل من الأزد فأشار إلى معاوية وقال له: أنت أمير المؤمنين فإذا متّ فأمير المؤمنين يزيد، ومن أبى فهذا وسلّ سيفه ! فقال له معاوية: أُقعد فأنت من أخطب الناس ! فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد، وفي ذلك قال ابن همّام السلولي:

فإن تأتوا برملة أو بهند ... نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا امامات كسرى قام كسرى ... نعدّ ثلاثة متنا سقينا
فيا لهفا لو أنّ لنا أُنوفاً ... ولكن لا نعود كما عنينا
إذاً لضُربتم حتّى تعودوا ... بمكة تلعقون بها السّخينا
حَسِينا الغيظ حتّى لو شربنا ... دماء بني أُمية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم ... تصيدون الأرانب غافلينا

(١) مروج الذهب ٣: ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٦٩ وحذفه المسعودي.

وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يعلمه باختياره ليزيد ومبايعته إياه بولاية عهده ويأمره بمبايعته وأخذ البيعة له على من قبله ! فلما قرأ مروان ذلك خرج مغضباً في أهل بيته وأخواله من بني كنانة حتّى أتوا إلى دمشق، ودخل على معاوية يمشي بين السماطين حتّى إذا دنا منه بقدر ما يسمعه صوته سلّم تكلّم بكلام كثير يوبّخ به معاوية ومنه قوله له: أقم الأُمور يابن أبي سفيان (كذا) واعدل عن تأميرك الصبيان ! واعلم أن لك من قومك نظراء ! وأن لهم على مناوأتك وزراء !

فقال له معاوية يسالمه ويستلينه: أنت نظير ! أمير المؤمنين ! وعُدّته في كلّ شديدة وعضده « والثاني بعد وليّ عهده » فجعله وليّ عهد يزيد وردّه إلى المدينة عزله عنها وولاّها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[1].

كان هذا اختصار المسعودي لهذه الأخبار، واختزل في تلخيصه خطبة الأحنف الثانية ردّاً على الفهري.

وذكرها الدينوري قال: فقام الأحنف بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لمعاوية:

يا أمير المؤمنين ! إنا قد فرزنا عنك قريشاً فوجدناك أكرمها زنداً وأشدها عقداً وأوفاها عهداً ! وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ! ولكنّك أعطيت « الحسن بن عليّ » من عهود الله ما قد علمت: ليكون له الأمر من بعدك، فإنْ تف فأنت أهل الوفاء ! وإن تغدر تعلم ـ والله ـ إنّ وراء الحسن عليه السلام خيولا جياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً ! إن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعاً من نصر ! وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ! ولا أبغضوا

(١) مروج الذهب ٣: ٢٨ وفي غيره: ولاّها سعيد بن العاص الأشدق.

عليّاً وحسناً منذ أحبّوهما ! وما نزل عليهم في ذلك خبر من السماء ! وإن السيوف التي شهروها عليك مع عليّ يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم ! وايم الله إن « الحسن » لأحبّ إلى أهل العراق من « عليّ »[1].

ثمّ خطب عبد الرحمان الثقفي في ردّ الأحنف التميمي، ثمّ خطب معاوية فعوى وأنذر وأوعد وهدّد، فهنا قام الأزدي الشامي وهدّد بسيفه !

فقام الأحنف أخيراً وقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين ! أنت أعلم بليل يزيد ونهاره وبسرّه وعلانيته، فإن كنت تعلم أنه خير لك فولّه واستخلفه ! وإن كنت تعلم أنه شرّ لك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ! فإنه ليس لك من الآخرة إلاّ ما طاب، واعلم أنه لا حجّة لك عند الله إن قدّمت يزيد على « الحسن والحسين » وأنت تعلم من هما ! وإلى ما هما ! وإنما علينا أن نقول: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[2].

ثمّ أعرض معاوية عن ذكر البيعة ليزيد حتّى:

قدم المدينة سنة خمسين:

ولما استقر في منزله أرسل إلى العبادلة الأربعة: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فلما اجتمعوا منع من أن يدخل عليه أحد ! ثمّ تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فقد كبر سنّي ووهن عظمي وقرب أجلي، وأوشكت أن أُدعى فأُجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٧٠.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٧٠ ـ ١٧١، والآية من البقرة: ٢٨٦.

خيارها ! ولم يمنعني أن أُحضر « حسناً وحسيناً » إلاّ أنهما أولاد أبيهما عليّ ! على حسن رأيي فيهما وشديد محبّتي لهما ! فردّوا على أمير المؤمنين ! خيراً رحمكم الله !

فقام عبد الله بن عباس فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه وآله ثمّ قال: أما بعد، فإنك قد تكلّمت فانصتنا، وقلت فسمعنا، وإن الله ـ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ـ اختار محمّداً صلى الله عليه وآله لرسالته، واختاره لوحيه، وشرّفه على خلقه، فأشرف الناس من تشرّف به، وأولاهم بالأمر أخصّهم به، وإنّما على الأُمة التسليم لنبيّها إذ اختاره الله لها، فإنه إنما اختار محمّداً بعلمه وهو العليم الخبير، وأستغفر الله لي ولكم.

فقام عبد الله بن جعفر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فإن هذه الخلافة إن أُخذ فيها بالقرآن فأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أُخذ فيها بسنة رسول الله فأُولوا رسول الله أولى به، وإن أُخذ فيها بسنة ! الشيخين أبي بكر وعمر فأيّ الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول ؟ وايم الله لو ولّوه بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه، ولأُطيع الرحمان وعُصي الشيطان، وما اختلف في الأُمة سيفان. فاتق الله ـ يا معاوية ـ فإنك قد صرت راعياً ونحن رعيّة، فانظر لرعيتك فإنك مسؤول عنها غداً !

وأما قولك في ابنَي عمّي وتركك أن تُحضرهما، فوالله ما أصبت الحقّ ولا يجوز لك ذلك إلاّ بهما ! وإنّك لتعلم أنّهما معدن العلم والكرم ! فقل أو دع، وأستغفر الله لي ولكم.

فتكلم عبدالله بن الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ هذه الخلافة لقريش خاصة ! تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية، مع شرف الآباء وكرم الأبناء ! فاتقّ الله يا معاوية وأنصف من نفسك، فإنّ هذا عبد الله بن عباس

ابن عمّ رسول الله، وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ابن عمّ رسول الله، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله ! وعليّ خلّف « حسناً وحسيناً » وأنت تعلم من هما وما هما ؟ فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك. ثمّ سكت.

فتكلم عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فإنّ هذه الخلافة ليست بهرقليّة ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو كان كذلك لكنت القائم بها بعد أبي ! فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى إلاّ على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً ! وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان أتقى وأرضى ! فإن كنت تريد الفتيان من قريش فلعمري إن يزيد من فتيانها ولكنك تعلم أنه لا يغني عنك من الله شيئاً.

فتكلم معاوية فقال: قد قلت وقلتم، وإنه ذهبت الآباء وبقيت الأبناء، فابني أحبّ إليّ من أبنائهم ! مع أن ابني إن قاولتموه وجد مقالا ! وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف ؛ لأنهم أهل رسول الله، فلما مضى رسول الله ولّى الناسُ أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة ! غير أنهما سارا بسيرة جميلة ! ثمّ رجع الملك إلى بني عبد مناف ! فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ! فقد أخرجك الله منها يابن الزبير وأنت يابن عمر ! وهذان ابنا عمي فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله ! ثمّ أمر بعطياتهم وصلاتهم فلم يقطعها عنهم، ثمّ أمر بالرحلة وانصرف راجعاً إلى الشام، وسكت عن الأمر فلم يعرض له حتّى سنة إحدى وخمسين[1].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٧٢ ـ ١٧٤، وجمهرة الخطب ٢: ٢٣٣ ـ ٢٣٦، وانظر الغدير ١٠: ٢٤٢ ـ ٢٤٤.ويبدو أنه حاول أن يغطّي مقصد سفرته هذه بلا حجّ ولا عمرة بحمل منبر النبي إلى الشام، وحملوه، فكسفت الشمس حتّى رؤيت النجوم نهاراً، فزعموها من ذلك فردّه وأمر فعمّر وزيد عليه ستّ مراقي فأصبح ذا تسع مراق، كما في مروج الذهب ٣: ٢٥ ـ ٢٦.

وسمّ الإمام عليه السلام:

روى الحلبي عن الصادق عليه السلام: أنّ الحسن بن علي عليهما السلام قال لأهل بيته: إنّي أموت بالسمّ كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله! فسألوه: ومن يسمّك ؟ قال: امرأتي أو جاريتي ! فقالوا له: فأخرجها من ملكك. فقال: ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها أمراً واجباً (ثابتاً) من الله وقضاء مقضياً منيّتي على يدها مالي منها محيص، هيهات من إخراجها[1].

وقد مرّ في الخبر: أنّ معاوية دسّ لمالك بن الحارث الأشتر النخعي في طريقه إلى مصر من سمّه في شراب من عسل مسموم، فلما بلغه خبره قال: إن لله جنوداً من عسل ! ومرّ في الخبر أيضاً: أنه لما استمزج الناس بالشام لولاية عهده تنادوا باسم عبد الرحمان بن خالد بن الوليد، فدسّ إليه طبيبه ابن أثال النصراني فسقاه شربة انخرق منها بطنه فمات !

وسيأتي في الأخبار التالية أن الحسن عليه السلام سُقي السم مراراً، فيبدو أن معاوية كان يسقيه السموم السابقة فلم تنجع فيه، فروى « الاحتجاج » أنه كتب إلى ملك الروم (؟) يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتال شربة ! فكتب إليه ملك الروم: إنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا ! فكتب إليه: إنّ هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة وقد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أُريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك فأُريح العباد والبلاد منه، ووجّه إليه بهدايا وألطاف، فوجّه إليه ملك الروم (؟) بشربة واشترط عليه شروطاً في ذلك فدفع بالسمّ لقتل الحسن عليه السلام[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ١١.

(٢) الاحتجاج ٢: ١١.

وإلى جانب الإمام الحسن عليه السلام كان سعد بن أبي وقّاص هو البقية الباقية من الستة نفراً أعضاء شورى عمر، فكأن معاوية كان يراهما مانعَين عن تولية العهد ليزيد: فقد روى الإصفهاني الأموي قال: لما أراد معاوية البيعة لابنه يزيد لم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً ماتا منه في أيام[١] متقاربة بعد عشر سنين من عهد معاوية.

وذكر البلاذري: أن معاوية دسّ إلى هند ابنة سهيل بن عمرو، وإلى امرأة الحسن عليه السلام شربة بعث بها إليها على أن تسقيها للحسن، على مئة ألف دينار ! ففعلت[٢] ولم يعلم ما علاقة هند بالحسن عليه السلام، فلعلّها كانت امرأة سعد. ولم يُعلم مَن الوسيط المدسوس من معاوية إلى زوج الإمام عليه السلام، ولم يُذكر لسعيد بن العاص دور في ذلك، فلعلّه كان لرقيبه في الإمارة، مروان، ولم يذكر أيضاً[٣].

واكتفت نصوص بعض المصادر كاليعقوبي بذكر السمّ عن لسان الإمام عليه السلام في وصيته إلى أخيه الحسين عليه السلام: « يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرار سُقيت فيها السمّ ولم أُسقه مثل مرّتي هذه، وأنا ميّت من يومي »[٤] بلا ذكر لمعاوية ولا مروان ولا حتّى جعدة، وإن كانت المظنّة السياسية تعود إلى معاوية طبعاً. واكتفى معاصره الدينوري بقوله: « ويقال: إن امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته »[٥].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٦٣.

(٣) أجل، نقل ذلك في صلح الحسن عليه السلام: ٣٦٤ عن مروج الذهب، وليس فيه. وكذلك في حياة الحسن عليه السلام للقرشي ٢: ٤١٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥.

(٥) المعارف: ٢١٢ وهو والبلاذري واليعقوبي أقدم النصوص.

كذلك نقل الكليني، بسنده عن أبي بكر الحضرمي قال: إن جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، سمّت الحسن بن علي، وسمّت مولاة له، فأ مّا مولاته فقاءت السمّ، وأما الحسن فانتقض به فمات[١] ورواه بسنده عن الصادق عليه السلام: أن جعدة ابنة الأشعث سمّت الحسن عليه السلام[٢].

نعم، صرّح بذكر معاوية مع أبي الفرج الأموي معاصره المسعودي قال: كان الذي بعثها على سمّه أنّ معاوية دسّ إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجّهت إليك بمئة ألف درهم وزوّجتك من يزيد، فذلك الذي بعثها على سمّه[٣].

وزاد الطبري الإمامي قال: أرسل معاوية إلى امرأته جعدة... وبذل لها عشرين ألف دينار، وإقطاع عشر ضياع من شعب سواد الكوفة، وأن يزوّجها ابنه يزيد، فسقت الحسن بُرادة من الذهب في السويق المقنَّد[٤].

وروى المفيد بسنده عن المغيرة (؟) قال: أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث، وبعث إليها بمئة ألف درهم وأن يزوّجها ابنه يزيد على أن تسمّ الحسن ففعلت.

وفصّله قبله قال: لما تمّ لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد، دسّ إلى جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن عليه السلام من (؟)حملها على سمّه وضمن لها أن يزوّجها بابنه يزيد، وأرسل إليها مئة ألف درهم، فسقته السمّ، فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً، ومضى لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة[٥].

وروى المسعودي، عن الصادق، عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام): أن الحسن عليه السلام لما سقي السمّ دخل عليه الحسين عليه السلام، فقام الحسن لحاجة الإنسان

(١) أُصول الكافي ١: ٤٦٢.
(٢) روضة الكافي: ١٤٧، الحديث ١٨٧.
(٣) مروج الذهب ٢: ٤٢٧.
(٤) دلائل الإمامة: ٦١ والمقنّد: المحلّى بالقند: سكر ملبّد.
(٥) الإرشاد ٢: ١٥ ـ ١٦ والخبر هو ما في مقاتل الطالبيين: ٤٨ وعنه نقل المفيد.

ثمّ رجع فقال: لقد سُقيت السمّ عدة مِرار فما سُقيت مثل هذه المرّة، لقد لفظت طائفة من كبدي[١] حتّى أنّي قلّبتها بعود بيدي... ولقد حاقت شربته (؟) وبلغ أُمنيّته ! والله لا وفى لها (؟) بما وعد، ولا صدق فيما قال[٢] بلا تصريح به ولا بها ؟!

وورد ذكر الأربعين يوماً فيما رواه ابن عساكر بسنده، عن أُم موسى (؟): أنّ جعدة بنت الأشعث سقت الحسن السمّ، فكان يوضع عنده طست وترفع أُخرى نحواً من أربعين يوماً[٣].

وورد التعبير الأصح بالأمعاء بدل الكبد عند ابن كثير قال: وكأنّ معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سماً... واختلف إليه الطبيب وقال: هذا رجل قد قطّع السمّ أمعاءه[٤].

مواعظه لجنادة:

جنادة بن أبي أُمية، عدّته كتب تراجم الصحابة منهم[٥] ولم يروَ عنه في كتبنا إلا حديث نبوي واحد في «أمالي الطوسي»[٦] وعنه عن عُبادة بن الصامت،

---

(١) يتكرر ذكر تقيؤ الإمام المجتبى عليه السلام قطعاً من كبده، والسمّ قد يؤدي في حالات نادرة وكعارض من عواض السمّ إلى التهاب في الكبد ولكن لا يؤدي إلى تقطّعه ولا إلى تداخله في المعدة والمري، كما ينصّ عليه الطبّ العدلي بل كما هو واضح. ولكن الكلام جار على لسان العرب، وجاء في « لسان العرب »: أن الكبد يطلق على الجهاز الخاص الصفراوي في الجانب الأيمن، وكذلك على كلّ ما في الجوف، وهو المقصود هنا.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٢٧، وفي مقاتل الطالبيين: ٤٨ بطريق آخر، وعنه في الإرشاد ٢: ١٦ ـ ١٧.

(٣) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق: ٢١٠، الحديث ٣٤٠.

(٤) البداية والنهاية ٨: ٤٣.

(٥) انظر قاموس الرجال ٢: ٧٢٣ برقم ١٥٩١..

(٦) أمالي الطوسي: ٤٧٤، الحديث ٣ م ١٧.

عن النبي صلى الله عليه وآله، مما لا صراحة فيه بصحابيّته. ولم يذكر في أي خبر مع عليّ والحسن عليهما السلام، ويُذكر في قوّاد معاوية لغزو الروم في البحر في عام (٥٦ هـ) و (٥٩ هـ) ومات في (٨٠ هـ)[١].

وعلى أي حال فقد نقل الخزّاز القميّ الرازي في « كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر » بسنده عنه قال: دخلت على الحسن بن علي في مرضه الذي توفّي فيه وبين يديه طست يقذف فيه الدم قطعة قطعة من السمّ الذي سقاه معاوية، فقلت له: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك ؟ فقال: يا عبد الله بماذا أُعالج الموت ؟! ثمّ التفت إليّ فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله): أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليّ وفاطمة (كذا!)، ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول ! ثمّ رفع الطست، وبكى، فقلت له: عظني يابن رسول الله.

قال: نعم، استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أ نّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه. واعلم أ نّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك!

واعلم أن في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً وفي الشبهات عتاباً. فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة ! خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالا كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر إذا أخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير.

واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجل.

---

(١) انظر فهارس تاريخ الخياط. وعن أُسد الغابة في ٦٧ هـ وقال : اسمه كثير الأزدي.

وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك وإن سكتّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمّات ساءه. من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما مَنْفَساً آثرك.

ثمّ انقطع نفسه واصفرّ لونه حتى خشيت عليه. ودخل الحسين عليه السلام فانكبّ عليه حتى قبّل رأسه وبين عينيه، ثمّ قعد عنده... فأخذ الحسن يُسرُّ إلى الحسين بوصيّته، وكان قد دخل مع الحسين الأسود بن أبي الأسود (؟) فقال: إنا لله ! إنّ الحسن قد نُعيت إليه نفسه فهو يوصي إلى الحسين[1].

وصيته إلى الحسين عليه السلام:

وروى المفيد، عن المخارقي قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين عليه السلام فقال له: يا أخي، إنّي مفارقك ولاحق بربّي عزّ وجل، وقد سقيت السمّ ورميت بكبدي (كذا) في الطست، وإني لعارف بمن سقاني السمّ ومن أين دهيت، وأنا أُخاصمه إلى الله تعالى، فبحقّي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء.

فإذا قضيتُ فغمّضني وغسّلني وكفّني، واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأُجدّد به عهداً، ثمّ ردّني إلى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك. والقوم سيظنّون بكم أنكم تريدون دفني عند

(١) بحار الأنوار ٤٤: ١٣٨ ـ ١٤٠ عن كفاية الأثر: ٢٢٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في منعكم عن ذلك، فباللّه أُقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم!

ثم وصّى عليه السلام إليه بأهله وولده وتركته وما كان وصّى به إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهَّلَه لمقامه، ونصبه علماً لشيعته من بعده ودلّهم على استخلافه[١].

وكان من أولاد طلحة التميمي حين قُتل يوم الجمل ابنته أُم إسحاق، فزوّجها عليّ لابنه الحسين عليهما السلام: فولدت له ابناً أسمته باسم أبيها طلحة ولم يناقضها الحسن عليه السلام لكن الولد مات صغيراً. ثم كانت هي زوجاً صالحاً فقال الحسن في وصيته للحسين: يا أخي أنّي رضيت هذه المرأة لك فلا تخرجنّ من بيوتكم، فإذا انقضت عدّتها فتزوجها[٢].

تشييعه ودفنه:

قال المفيد: فلما مضى الحسن عليه السلام لسبيله غسّله الحسين عليه السلام وكفّنه وحمله على سريره ولم يشك مروان[٣] ومن معه من بني أُمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

فتجمعوا له ولبسوا السلاح. فلما توجّه به الحسين عليه السلام إلى قبر جدّه ليجدّد به عهداً أقبلوا إليهم بجمعهم، وخرجت إليهم عائشة على بغل وهي تقول: مالي

---

(١) الإرشاد ٢: ١٧.

(٢) الأغاني ٢١: ١١٤، ١١٥.

(٣) ولم يكن مروان في تلك الأوان عامل آل أبي سفيان بالمدينة، كان قد تلكّأ في أخذ البيعة ليزيد فعزله معاوية وولاّها سعيد بن العاص، وهو الذي صلّى على الحسن عليه السلام حسب السنة الجارية كما في مقاتل الطالبيين: ٥٠.

(٤) ومن هنا نسب ذلك إلى وصية الحسن عليه السلام، كما في مقاتل الطالبيين مثلا: ٤٩.

ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب[١] ! وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجا هي خير من دَعَة ! أيُدفن عثمان بأقصى المدينة (البقيع) ويدفن الحسن مع النبيّ ؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف ! وكاد أن تقع الفتنة !

فبادر ابن عباس[٢] إلى مروان وقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت، فإنّا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثمّ نردّه إلى جدّته فاطمة فندفنه عندها بوصيّته بذلك، ولو كان وصّى بدفنه مع النبيّ صلى الله عليه وآله لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك ! لكنه كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرّق عليه هدماً كما طرّق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه !

ثمّ أقبل على عائشة فقال لها: وا سوأتاه ! يوماً على جمل ويوماً على بغل تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلين أولياء الله ! ارجعي فقد كُفيتِ الذي تخافين وبلغتِ ما تحبّين ! والله تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين !

وقال الحسين عليه السلام: والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أُهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف كانت تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا لأنفسنا عليكم[٣] !

---

(١) خلافاً لآية مودة قربى النبي صلى الله عليه وآله: ٢٣ الشورى، ولذا فقد كبرت الكلمة على بعضهم فروى: أن الحسن عليه السلام كان قد أرسل إليها أن تأذن له أن يدفن مع جده فقالت: نعم ما بقي إلاّ موضع قبر واحد ! ولكن بني أُمية سمعوا بذلك فلبسوا السلاح وكذلك بنو هاشم ! وبلغ ذلك الحسن فقال لهم: أما إذا كان هذا فلا حاجة لي فيه، ادفنوني إلى جانب أُمي فاطمة ـ أي جدّته بنت أسد ـ مقاتل الطالبيين: ٤٩.

(٢) وستأتي الأخبار عن عدم حضور ابن عباس عند وفاته بالمدينة.

(٣) الإرشاد ٢: ١٨ و ١٩، هذا ولم يكن مروان أمير المدينة يومئذ بل سعيد بن العاص. والطبرسي في إعلام الورى ٢: ٤١٤ نقل قول المفيد في الإرشاد إلى قول عائشة ثم روى عن الباقر عليه السلام أن الحسين عليه السلام قال لها: أنتِ قديماً هتكت حجاب رسول الله وأدخلت بيته من أبغضه.

وعن الباقر عليه السلام: أنّه قال لعائشة: أنت قديماً هتكت حجاب رسول الله وأدخلت بيته من لا يحبّ قربه ! وإن الله سائلك عن ذلك ! إن أخي أمرني أن أقرّبه من رسول الله ليجدّد به عهداً. ثمّ تكلّم محمد بن الحنفية قال لها: يا عائشة ! يوماً على جمل ويوماً على بغل ! فما تملكين نفسك عداوة لبني هاشم ! فأقبلت عليه وقالت له: يابن الحنفية ! هؤلاء بنو فاطمة يتكلمون فما كلامك ؟! نحّوا ابنكم واذهبوا فإنّكم قوم خصِمون[1] !

أجمع الأخبار في ذلك:

الواقدي نقل أشمل النقول في ذلك بسنده عن الحسن بن محمد بن الحنفية: أنّ الحسن عليه السلام سُقي السمّ فأمسى مريضاً مبطوناً أربعين يوماً، فكان بنو هاشم لا يفارقونه يبيتون عنده، وكان على المدينة سعيد بن العاص وكان يعوده فمرة يأذن له ومرة يُحجب عنه. وبعث مروان رسولا إلى معاوية يخبره بثقله.

ولما ثقل أو احتضر وعنده إخوته والحسين عهد إليه: أن يُدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله إن أمكن، وإن حيل بينه وبينه وخيف أن يهراق فيه محجمة من دم دفن عند أُمه (فاطمة بنت أسد) بالبقيع، وأخذ يؤكّد على الحسين: يا أخي إياك أن يُسفك دم فإن الناس سُرّاع إلى الفتنة ! ولما توفي الحسن ارتجّت المدينة صياحاً فلا يُلفى أحد إلاّ باكياً ! وأبرد مروان إلى معاوية يخبره بموت الحسن وأنهم

---

(١) أُصول الكافي ١: ٣٠٢، الحديث ٣ ولكن فيه عن الحسين عليه السلام: أنّ ضرب المعاول حول رسول الله خلاف قوله سبحانه: ﴿**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ فهو حرام غير جائز! وهو وهم وتقوّل غير جائز! والخبر مكرر الخبر الأول بالباب وفيه:أنَ الحَسين صلّى عليه ! وفي هذا: فصلّي على الحسن ! وفيه: ثمّ اصرفني إلى أُمي فاطمة ثمّ ردّني إلى البقيع... فمضى الحسين به إلى قبر أُمه ثمّ أخرجه إلى البقيع ! كأن قبرها كان معروفاً معلوماً ! فالخبر مضطرب المتن جداً فهو غير معتبر، وفيه بعد مستبعدات أُخرى أيضاً.

يريدون دفنه مع النبي صلى الله عليه وآله، وأنهم لا يصلون إلى ذلك أبداً وأنا حي[١] وكذا أبرد سعيد بن العاص بدون القول الأخير[٢].

وقيل: إن الحسين عليه السلام أظهر هذه الوصية للحسن عليه السلام قبل موته فبلغ مروان، فكتب بها إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشدّ المنع، كما مُنعنا من دفن عثمان مع النبيّ[٣].

وبعث بنو هاشم، صائحاً يصيح في كلّ قرية من قرى الأنصار بعوالي المدينة بموت الحسن عليه السلام، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف عنه أحد منهم[٤].

وحضر سعيد بن العاص وهو أمير ليصلّي عليه، فتنادى بنو هاشم: لا يصلي عليه إلاّ الحسين عليه السلام قال حسن بن محمد بن الحنفية: فوالله ما نازعنا في الصلاة عليه وقال: أنتم أحقّ بميّتكم، فإن قدّمتموني تقدمت. فقال الحسين عليه السلام: تقدّم، فلولا أنّ الأئمة تُقدّم ما قدّمناك !

وانتهى الحسين عليه السلام إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: احفروا هاهنا، فنكب سعيد بن العاص واعتزل ولم يحل بينه وبينه[٥].

فلما بلغ ذلك إلى مروان جاء إلى سعيد بن العاص وسأله: ما أنت صانع في أمرهم ؟ فقال: لست منهم في شيء ولا أحول بينهم وبين ذلك ! فقال له مروان: فخلّني وإيّاهم ! فقال له: أنت وذاك ! فجمع لهم مروان من كان هناك من بني أُمية ومواليهم وحشمهم[٦].

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥٢.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١: ٣٨.
(٣) أنساب الأشراف ٣: ٦٧، الحديث ٧٢.
(٤) الطبقات الكبرى ٨، الحديث ١٦٤.
(٥) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥٢.
(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ٢٢٠، الحديث ٣٥٥.

وصاح مروان في بني أُمية ومن لفّ معهم ومعهم السلاح: لا كان هذا أبداً !

فصاح به الحسين عليه السلام: يابن الزّرقاء ما لك ولهذا ؟! أوال أنت ؟! قال: لا كان هذا ولا يُخلص إليه وأنا حيّ ! فصاح الحسين بحلف الفضول فاجتمع بنو هاشم وأسد وتيم وزُهرة وجَعونة، وصارت بينهم مراماة بالنبال، حتّى قام بينهم رجال من قريش: المِسور بن مَخرمة وعبد الله بن جعفر وجعل هذا يلحّ على الحسين يقول له: يابن العم ألم تسمع إلى عهد أخيك: إن خفت أن يهراق فيّ محجمة من دمّ فادفنّي مع أُمّي (فاطمة بنت أسد) بالبقيع ! فأُذكّرك الله أن تُسفك الدماء !

وقال له المِسور بن مَخرمة: يا أبا عبد الله، إني سمعت أخاك قبل أن يموت بيوم يقول لي: يابن مَخرمة، إني قد عهدت إلى أخي أن يدفنني مع رسول الله إن وجد إلى ذلك سبيلا، فإن خاف أن يُهراق في ذلك مِحجم من دم فليدفنّي مع أُمي (فاطمة بنت أسد) بالبقيع ! وإني أُذكّرك الله في هذه الدماء، ألا ترى ما هاهنا من السلاح والرجال ! والناس سُرّاع إلى الفتنة !

وسمعت أبي يقول: قلت لأخي برفق: يا أبا عبد الله، إنا لا ندع قتال هؤلاء القوم جُبناً منهم ! ولكنّا إنما نتّبع وصية أبي محمد، إنه والله لو قال: ادفنوني مع النبيّ، لُمتنا من آخرنا أو ندفنه معه ! ولكنه خاف ما قد ترى فقال لنا: إن خفتم أن يُهراق فيَّ مِحجم من دم فادفنوني مع أُمي (بنت أسد) وإنما نتّبع عهده وننفّذ أمره[1].

وحضر أبو هريرة ومروان ينادي: والله ما كنت لأدع ابن أبي تراب أن يُدفن مع رسول الله وقد دُفن عثمان (في حُشّ كوكب اليهودي) !

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥٢.

فناداه أبوهُريرة: يامروان اتقِ الله ولاتقل لعليّ إلاّ خيراً! فأشهد سمعت رسول الله يوم خيبر يقول: « لأُعطينّ الراية رجلا يحبّه الله ورسوله ليس بفرّار » وأشهد لقد سمعت رسول الله يقول في الحسن: « اللهم إني أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه ».

فقال له مروان: إنك والله قد أكثرت على رسول الله الحديث ؛ فلا نسمع منك ما تقول، فهلمّ معك غيرك يعرف ما تقول ! وكان أبو سعيد الخُدري حاضراً وقد سمع معه ما سمع، فأشار إليه أبو هريرة وقال: هذا أبو سعيد الخُدري. فقال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله إذ لا يرويه إلاّ أنت وأبو سعيد الخُدري، والله ما أبو سعيد الخُدري يوم مات رسول الله إلاّ غلاماً ! ولقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاة رسول الله بيسير ! فاتّقِ الله يا أبا هريرة ! فقال: نِعم ما أوصيت به ! وسكت عنه[١].

وقال للقوم: أرأيتم لو جيء بابن موسى ليُدفن مع أبيه فمُنع، أكانوا قد ظلموه ؟ فقالوا: نعم ! قال: فهذا ابن نبيّ الله قد جيء به ليُدفن مع أبيه فمُنع منه !

ثم أقبل على الحسين عليه السلام وقال له: أنشدك الله في وصية أخيك ! فإن القوم لن يدعوك حتّى يكون بينكم دماً[٢] !

وحضر عبد الله بن عمر فقال للحسين عليه السلام: اتّقِ الله ولا تُثر فتنة ولا تسفك الدماء ! وادفن أخاك إلى جنب أُمّه (فاطمة بنت أسد) فإن أخاك قد عهد بذلك إليك[٣] !

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٧٨.
(٢) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥١.
(٣) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥٩.

وحضر جابر بن عبد الله الأنصاري فقال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، اتّقِ الله، فإن أخاك كان لا يحبّ ما ترى، فادفنه بالبقيع مع أُمّه (فاطمة بنت أسد)[١].

وكان سعد بن أبي وقاص بأرضه بضاحية المدينة فحضر وتكلّم مع الحسين عليه السلام ولم يزل به[٢].

وكان أبان بن عثمان حاضراً ويقول: إن هذا لهو العجيب أن يُدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله وأبي بكر وعمر ! ويُدفن أمير المؤمنين الشهيد المظلوم ببقيع الغرقد[٣] !

ونادت عائشة (وهي على بغلة شهباء): هذا الأمر لا يكون أبداً ! يدفن (الحسن) ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً ! والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته ! وما دُفن فيه عمر وهو خليفة إلاّ بأمري، وما أثر عليٍّ عندنا بحسن[٤] ! إنه بيتي ولا آذن فيه لأحد ! فأتاها القاسم ابن أخيها محمد بن أبي بكر وقال لها: يا عمّة ! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ! أتريدين أن يقال: يوم البغلة الشهباء ! فرجعت.

ونادى خلق من الناس مع الحسين قالوا له: دعنا وآل مروان فوالله ما هم عندنا إلاّ كأكلة رأس !

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥٧.
(٢) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٧٧.
(٣) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٧٥.
(٤) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٥٣.

فقال: إن أخي أوصاني أن لا أُريق فيه محجمة دم[١] وتقدّم عبد الله بن جعفر فأخذ بمقدم السرير فدفعه وصار به إلى البقيع، فانصرف مروان ومن معه[٢].

تأبينه والحداد عليه:

وعند قبر الحسن عليه السلام في البقيع قال الحسين عليه السلام: رحمك الله أبا محمد ! إن كنت لتباصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التّقية بحسن الرويّة، وتستشفّ جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتقبض عنها يداً طاهرة، وتردع بادرة أعدائك بأيسر المؤونة عليك. وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة، وقد صرت إلى رَوح وريحان وجنة نعيم. أعظم الله لنا ولكم الأَجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عنه[٣].

ولما دفن الحسن عليه السلام وقف أخوه محمد بن الحنفية على قبره وقال: لئن عزّت حياتك لقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمّنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمّن بدنك، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلَف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء (كذا)، غذتك بالتقوى أكفّ الحقّ، وأرضعتك ثديّ الإيمان، وربّيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وميّتاً، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ؛ رحمك الله يا أبا محمد... وأنت ابن محمّد المصطفى وابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء، ثمّ أنشأ يقول:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥ ونسب المنع إلى مروان وسعيد بن العاص، ولعلّه لعدم معارضته لمروان كما مرّ الخبر عنه. وحاولوا توجيه منع عائشة فقالوا: إنها لما رأت الرجال والسلاح وخافت أن يقع الشرّ بينهم وتسفك الدماء، قالت: البيت بيتي... كما في أنساب الأشراف ٣: ٦٦، الحديث ٧١ عن عروة بن الزبير، عن خالته عائشة! وانظر أصول الكافي ١: ٣٠٠.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٢٢٠، الحديث ٣٥٥.

(٣) عيون الأخبار للدينوري ٢: ٣١٤ مرسلا وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ٢٣٣، الحديث ٣٦٩ مسنداً عن غير ابن قتيبة.

أأُدهن رأسي أم أُطيب محاسني وخدّك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه وقد ضمن الأحشاءَ منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة وما اخضرّ في دوح الحجاز قضيب
غريب وأطراف الديار تحوطه ألا كلّ من تحت التراب غريب[١]

وكان البقيع يوم دفنه لو طُرحت إبرة ما وقع إلاّ على رأس إنسان[٢] وبكى عليه الرجال والنساء والصبيان بالمدينة ومكة سبعة أيام ما تقوم الأسواق[٣] ! وأقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً[٤] وحدت عليه نساء بني هاشم سنة[٥].

نعي الإمام في الشام:

قال الدينوري: لما كانت سنة إحدى وخمسين (يعني أوائلها) مرض الحسن ابن علي مرضه الذي مات فيه فكتب عامل المدينة (سعيد بن العاص، بذلك إلى

(١) مروج الذهب ٢: ٤٢٨ ـ ٤٢٩، وقبله في تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥ ولكنه ذكره عند تكفينه. وذكره ابن عساكر الدمشقي في تاريخه: ٢٣٤، الحديث ٣٧٠ مسنداً عن عمر بن علي عليه السلام.
(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣: ١٧٣، الحديث ٢٣ و ٢٤، وتاريخ دمشق: ٢٣٥، الحديث ٣٧٢.
(٣) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٦٨، والمستدرك للحاكم ٣: ١٧٣، الحديث ٢١.
(٤) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٦٩، والمستدرك للحاكم ٣: ١٧٣، الحديث ٢١.
(٥) الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٧٠ و ١٧١، والمستدرك للحاكم ٣: ١٧٣، الحديث ٢٣ و ٢٤.

معاوية، فكتب إليه معاوية: إن استطعت أن لا يمضي يوم يمرّ بي إلاّ يأتيني فيه خبره فافعل ! فلم يزل يكتب إليه بحاله حتّى توفي فكتب إليه بذلك.

فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتّى أنه سجد وسجد من كان معه[1].

وروى المسعودي، عن الطبري، عن ابن إسحاق، عن الفضل بن عباس بن ربيعة قال: كنت في مسجد دمشق إذ سمع أهل المسجد التكبير من أهل القصور الخضراء لمعاوية فكبّروا بتكبيرهم، فبلغني أن فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف كانت في إحدى تلك القصور (وهي زوجته) فلما سمعت التكبير أطلّت من خوختها على معاوية وقالت له:

يا أمير المؤمنين: سرّك الله ! فما هذا الذي بلغك فسُررت به ؟ قال: موت الحسن بن علي !

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون وبكت وقالت: مات سيّد المسلمين وابن بنت رسول الله !

فقال معاوية متظاهراً: نعمّا فعلتِ إنه كان كذلك أهلا أن تبكي عليه !

وروى أبو داود وأحمد في مسنده بسنده: لما بلغ نعي الحسن عليه السلام إلى الشام، وفد من قنّسرين على معاوية ثلاثة: المقدام بن معدي كرب، وعمرو بن الأسود ومعهما رجل من بني أسد، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفّي ؟ فقال إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال معاوية: أتراها مصيبة ! فقال: ولِمَ لا أراها مصيبة وقد (رأيت) وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره فقال: هذا منّي !

فقال الأسدي: جمرة أطفأها الله عزّ وجل!

فقال المقدام لمعاوية: أما أنا فلا أبرح اليوم حتّى أُسمعك ما تكره ! ثمّ قال: يا معاوية ! إن أنا صدقت فصدّقني وإن أنا كذبت فكذّبني ! قال: أفعل. فقال:

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٧٤ و ١٧٥.

فأُنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينهى عن لبس الذهب؟ قال: نعم. قال:

فأُنشدك الله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن لبس الحرير ؟ قال: نعم، قال:

فأُنشدك الله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن لبس جلود السباع وركوبها ؟ قال: نعم.

فقال: فو الله لقد رأيت هذا كلّه في دارك وفي بيتك يا معاوية !

فقال معاوية: قد علمتُ أ نّي لن أنجوَ منك يا مقدام[1] !

وكان عبد الله بن العباس قد وفد على معاوية وبلغه الخبر، فبلغني أنه دخل على معاوية عصراً، فقال له معاوية: يابن عباس، علمت أن الحسن توفّي ! قال: فكبّرتَ لذلك ؟! قال: نعم ! قال: أما والله ما موته بالذي ينسئ في أجلك ! ولا حفرته بسادّة حفرتك! ولئن أُصبنا به فقد أُصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول ربّ العالمين، ثمّ بعده بسيّد « الأوصياء » فجبر الله تلك المصيبة، ورفع تلك العثرة[2] !

---

(١) سنن أبي داود ٢: ١٨٦، ومسند أحمد ٤: ١٣٠، وانظر الغدير ١٠: ٢١٥: لُبس معاوية ما لا يجوز. وصدره في كفاية الطالب: ٤١٤، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، الحديث ١٠٩٩.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٢٩ و ٤٣٠ عن الطبري، وليس في الطبري المنشور. وبعده نقل عن نسخة أُخرى عن الطبري: أن ذلك التكبير كان لبشارته بانقياد الحسن للصلح! ولذكره عن النبيّ: أن ابني هذا سيد أهل الجنة ! وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين ! فالحمد لله الذي جعل فئتي إحدى الفئتين ! وهي كما ترى محاولة فاشلة، إذ لم يكن معاوية يومئذ في قصوره الخضراء بدمشق! ونقله المسعودي ولم يعلق عليه بشيء! ولعلّه لبداهة بلاهته وبطلانه، والحديث كما ترى من موضوعات معاوية تضليلاً ليحشر نفسه ومن معه مع المؤمنين! ولعلّ الصحيح: «إنّ ⇐

ولعلّه كان الفضل بن العباس، وقد نقل الخوارزمي عنه مرثية للحسن عليه السلام قال:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً	ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة الله عليه، إنّه	طالما أشجى ابن هند و أرنّ
استراح اليوم منه بعده	إذ ثوى رهناً لأحداث الزمن
فارتع اليوم ابن هند آمناً	انما يقمص بالعير السمن
لستَ بالباقي فلا تشمت به	كل حي بالمنايا مرتهن
يابن هند إن تذق كأس الردى	تك في الدهر كشي لم تكن[1]

وأكمل الدينوري قال: ثمّ شهق ابن عباس فبكى، فبكى من في المجلس حتى معاوية، ثمّ قال له:

بلغني أنه ترك بنين صغاراً ! فقال ابن عباس: كلنا كان صغيراً فكبر ! قال معاوية: كم بلغ من عمره ؟ قال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده ! فأسكت معاوية لفترة ثمّ قال له: يابن العباس ! أصبحت سيّد قومك من بعده ! (متجاهلاً الحسين عليه السلام) فقال ابن عباس: أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا ! فقال معاوية: لله أبوك يابن عباس ! ما استنبأتك إلاّ وجدتك مُعدّاً[2] !

واختصر الخبر اليعقوبي قال: لما توفي الحسن بن علي كان ابن عباس عند معاوية (بدمشق) فلما بلغ معاوية نعي الحسن دخل عليه ابن عباس فقال له

⇒

ابني هذا سيّد ولعلّ الله يصلح به فئتين عظيمتين» فحسب بلا زيادة ، كما في البخاري كتاب الصلح، والترمذي ٥: ٣٧٧٣.

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٩، ومقتل الخوارزمي ١: ١٤١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٧٥.

معاوية: يابن عباس، مات الحسن ! فاسترجع وقال: على عظيم الخطب وجليل المصاب ! ثمّ قال له: أما والله يا معاوية، لئن كان الحسن مات فما ينسئ موته في أجلك ولا يسدّ جسمه حفرتك ! ولقد مضى إلى خير وبقيت على شرّ ! فقال معاوية: لا أحسبه قد خلّف إلاّ صبيةً صغاراً ! قال: كلنا كان صغيراً فكبر ! قال: بخْ بخْ يابن عباس أصبحت سيّد قومك ! قال: أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله، فلا[1].

واختزل النقل البلاذري، عن الكلبي، عن أبي صالح قال: لقي ابن عباس معاوية فقال له معاوية: عجباً للحسن ! شرب عسلة طائفية بماء بئر رؤمة فمنها مات ! فقال ابن عباس: لئن هلك الحسن فلن ينسأ في أجلك: قال: وأنت اليوم سيّد قومك ! قال: أمّا ما بقي أبو عبد الله (الحسين) فلا[2].

وللخبر مصادر عديدة وجاء في بعضها قال له معاوية يبكّته. فظنّها بعضهم: بمكة، ومنهم البلاذري.

وعلى أيّ حال، فلم يكن بالمدينة في وفاة الحسن عليه السلام كما أفاده المفيد منفرداً به كما مرّ خبرُه.

وعزل سعيداً وأمّر مروان بعد زمان:

روى الواقدي قال: لما مات الحسن بن علي عليه السلام بعث سعيد بن العاص رسولاً إلى معاوية يخبره بذلك، ولما دُفن الحسن بالبقيع أرسل مروان بريداً يخبر

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥ و ٢٢٦.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٦٧، الحديث ٧٤، وانظر تعاليق المحقق المحمودي بمصادر أُخرى.

معاوية يقول: فإني يا أمير المؤمنين ! عقدت لوائي وأحضرت معي ممن أبتغي ألفي رجل ! قد تلبّسنا السلاح فلم يزل الله ! يدرأ الحسن أن يكون ثالثاً مع أبي بكر وعمر، حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان المظلوم رحمه الله ! وهم الذين فعلوا بعثمان ما فعلوا ! وإنّ سعيد بن العاص قد لاقى بني هاشم وما لأهم على أن يُدفن الحسن مع رسول الله وأبي بكر وعمر! فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع، ويعده أن يعزل سعيداً ويولّيه المدينة! وكان قد وليها في آخر سنة (٤٩) قبل موت الحسن، فكان معاوية يستحيي من سرعة عزله إياه. وعلم سعيد بكتاب مروان إلى معاوية، فكان يلقاه.

ويقول له ممازحاً: ما جاءك فينا شيء ؟ فيقول مروان: أتظن أنّي أطلب عملك ؟! فاستحيا سعيد وسكت عنه ثمّ عزله معاوية وولّى مروان وكتب إليه: إذا جاءك كتابي هذا فلا تدع لسعيد بن للعاص قليلا ولا كثيراً إلاّ قبضته[1].

وروى الخبر الزبير بن بكّار عن رجاله خبراً طويلا ذكر الأربلي موضع الحاجة منه وفيه: أنّ معاوية أذن للناس إذناً عاماً وأذن لابن عباس في آخرهم واستدناه ونعي إليه الحسن عليه السلام وفي آخره: ثمّ قام وعينه تدمع.

وبعد انقضاء العزاء (؟) دخل عليه فقال له هذه المرة: يا أبا العباس، أتدري ما حدث في أهلك ؟ هلك أُسامة بن زيد فعظم الله لك الأجر ! قال: « إنا لله وإنا إليه راجعون » رحم الله أُسامة، وخرج.

وفي يوم الجمعة صلّى في الجامع واجتمع عليه الناس يسألونه عن الفقه والحلال والحرام، والتفسير، وأحوال الجاهلية والإسلام (التاريخ) وهو يجيب،

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، الحديث ١٨٨، وتاريخ دمشق ٢١: ٣٨ ترجمة سعيد ولكن لم يكن ذلك سريعاً بل بعد حين.

وبانت قلةُ من ذهب إلى معاوية فسأل فقيل له: إنهم شُغلوا بابن عباس ! ولو شاء قبل الليل أن يضربوا معه بمئة ألف سيف لفعل ! فقال: نحن ظلمناه: نعينا إليه أهله ومنعناه حاجته وحبسناه عن أهله ! انطلقوا إليه فادعوه ! فأتاه حاجبه فدعاه، فقال: نحن بنو عبد مناف إذا حضرت الصلاة لم نقم حتى نصلي، فأُصلي إن شاء الله وآتيه !

فصَلّى العَصر ثمّ ذهب إليه، فأراد معاوية أن يعرّف أهل الشام بميل ابن عباس إلى الدنيا فقال له: أقسمت عليك لما دخلت بيت المال فأخذت حاجتك ! فقال: إن ذلك ليس لي ولا لك ! فإن أذنت أن أعطي كلّ ذي حقّ حقّه فعلت. فقال معاوية: أقسمت عليك إلاّ دخلت فأخذت حاجتك. فدخل فرأى فيه برنُس خزّ أحمر كان يقال إنه لأمير المؤمنين علي عليه السلام فأخذه وخرج (ولعلّه بمعونة قائده) ثمّ قال لمعاوية:

يا أمير المؤمنين ! بقيت لي حاجة ! فقال: ما هي ؟ قال: إنّك قد عرفت فضل عليّ بن أبي طالب وسابقته وقرابته، وقد كفاكه الموت، فأحبّ أن لا يُشتم على منابركم ! ولعلّه سمعه من خطيبه.

فقال معاوية: يابن عباس ! هيهات ! هذا أمر دين ! ثمّ أخذ يعدّد عليه: أليس فعل وأليس فعل ؟ فقال ابن عباس: فالموعد القيامة و﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[1] وخرج وتوجّه إلى المدينة[2].

---

(١) الأنعام: ٦٧.

(٢) كشف الغمة ٢: ٤٨ و ٤٩ عن الموفقيات للزبير بن بكار، وهو الخبر السابع من عشرة أخبار عنه، وانظر تعليقته على الكتاب والمؤلف في ٢: ٤٢ و ٤٣.

نعي الإمام في الكوفة:

انتشر خبر وفاة الحسن عليه السلام وبلغ العراق والكوفة، وأشهر أزواج الإمام جعدة بنت الأشعث الكندي الكوفي، وشاعر أمير المؤمنين بالكوفة النجاشي الحارثي الشاعر فقال:

يا جعدُ بكّيه ولا تسأمي ... بكاء حقّ ليس بالباطل
علىابن بنت الطاهر المصطفى ... وابن ابن عمّ المصطفى الفاضل
كان إذا شُبّت له ناره ... يوقدها بالشرف القابل
كيما يراها بائس مُرملٌ ... أو ذو اغتراب ليس بالآهل
لن تُغلقي باباً على مثله ... في الناس من حاف ومن ناعل
نعم فتى الهيجاء يوم الوغى ... والسيّد القائل والفاعل[1]

نعم كأنه لم يعلم بأنها هي التي قتلته بسمّ معاوية، فعزّاها بشعره يخصّها بالرثاء والتأبين !

واجتمع « الشيعة » بالكوفة في دار سليمان بن صُرد الخزاعي ومعهم بنو جعدة بن هُبيرة المخزومي أبناء عمة الإمام المجتبى عليه السلام، فكتبوا إلى الحسين يعزّونه بمصابه بالحسن:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، من « شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين، سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد، فقد بلغنا

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٧٥، الحديث ٨٢ ولها مصادر كثيرة منها بطريقين آخرين في تاريخ دمشق ـ الإمام الحسن عليه السلام: ٢١٢، الحديث ٢٣٧ و ٣٤١ و ٣٧٥، ويبدو أن شاعراً متطفلا زاد فيها بيتاً وجعلها في علي بن الحسين عليه السلام قال:

أعني ابن ليلى ذا السدا والندا ... أعني ابن بنت الشرف الفاضل

كما في مقاتل الطالبيين: ٥٣ عن ابن عقدة !

وفاة الحسن بن علي، فالسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً وغفر الله ذنبه ! وتقبّل حسناته وألحقه بنبيّه، وضاعف لك الأجر في المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده، فعند الله نحتسبه، و « إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ما أعظم ما أُصيبت به هذه الأُمّة عامّة وأنت وهذه « الشيعة » خاصّة، بهلاك ابن الوصي وابن بنت النبيّ، علم الهدى ونور البلاد، المرجوّ لإقامة الدين وإعادة سير الصالحين، فاصبر رحمك الله على ما أصابك ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ فإن فيك خلفاً ممّن كان قبلك، وإن الله يؤتي رشده من يهتدي بهديك، ونحن « شيعتك » المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك والمسرورة بسرورك والسائرة بسيرتك والمنتظرة لأمرك شرح الله صدرك ورفع ذكرك وأعظم أجرك، وغفر ذنبك وردّ عليك حقّك[1] !

وكتب إليه بنو عمته أم هانئ المخزوميون: أنهم قد لقوا من أنصارهم بالكوفة من يُطمأن إلى قوله ويُرضى هديه ويُعرف بأسه ونجدته، فأفضوا إليهم بما هم عليه من شأن ابن أبي سفيان والبراءة منه، وسألوا الحسين عليه السلام الكتابة برأيه إليهم. فكتب إليهم:

إني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة، ورأيي في جهاد الظلمة، رشداً وسداداً. فاكموا الهوى واحترسوا الأظنّاء واخفوا أشخاصكم والصقوا بالأرض مادام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدث وأنا حيّ يأتكم رأيي إن شاء الله[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٨ وانفرد به بدون ذكر جواب عليه. والآية ١٧ من سورة لقمان.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٥٦، الحديث ١٦٦ واختصر الإشارة في صدر خبره إلى كتاب أهل الكوفة إليه من دار الخزاعي، الذي مرّ عن اليعقوبي.

وصفه وتاريخ شهادته

وكان الحسن عليه السلام أبيض مشرّباً بحمرة، ذا وفرة جعد الشعر من أحسن الناس وجها مليحاً، أدعج العينين، سهل الخدّين، كث اللحية يخضبها بالسواد كأن عنقه إبريق فضّة، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن البدن.

توفى في سنة (٤٩ هـ) وغسّله الحسين ومحمد والعباس أُخوته[١].

وقال الكليني: مضى عليه السلام في آخر شهر صفر من سنة (٤٩ هـ) وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر[٢] واختار المفيد أنه كان له (٤٨) سنة وتوفّي في صفر سنة (٥٠ هـ)[٣] لليلتين بقيتا منه[٤].

وتبعه الطبرسي: لليلتين بقيتا من صفر[٥] وتبعه الحلبي الساروي ابن شهر آشوب المازندراني[٦] وعليه العمل في بلاد فارس والعجم غالباً. واكتفى الإربلي بالنقل عن « الإرشاد » و « إعلام الورى » واختار الشهيد والكفعمي السابع من شهر صفر[٧]، وعليه العمل في الشيعة العرب غالباً.

وقال ابن الخياط: توفي الحسن رحمه الله في سنة (٤٩) وفي سنة (٥٠) دعا معاوية أهل الشام إلى بيعة ابنه يزيد فأجابوه وبايعوه وأغزاه مع أبي أيوب الأنصاري إلى الروم فلما عاد أمّره موسم الحجّ[٨].

---

(١) الذرية الطاهرة للدولابي: ١٢٠، الحديث ١٣٤.

(٢) أُصول الكافي ١: ٤٦١.

(٣) الإرشاد ٢: ١٥.

(٤) مسار الشيعة: ٦٣.

(٥) إعلام الورى ١: ٤٠٣ وفي عمره وافق الكليني وفي عام الوفاة المفيد.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٤ وفي عمره وافق الكليني وفي عام الوفاة وافق المفيد.

(٧) الدروس ١: ٤٢١ من موسوعة الشهيد الأول: ٩، ومصباح الكفعمي: ٥١٠ و٥٢٢.

(٨) تاريخ خليفة: ١٢٨ و ١٢٩ ولاحظ التعليق السابق لحضور أبي أيوب.

وقال اليعقوبي: في شهر ربيع الأول سنه (٤٩) توفي الحسن عليه السلام سقي السم[١] وبعد وفاته بايع معاوية لابنه يزيد بولاية عهده، ولم يتخلف عن بيعته إلاّ أربعة نفر، هم...[٢].

وقال الدينوري: بعد وفاة الحسن رحمه الله لم يلبث معاوية إلاّ يسيراً ثمّ بايع ليزيد ابنه بالشام، وكتب ببيعته إلى الآفاق[٣].

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٨.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٧٥ إلاّ أنه ذكر الوفاة سنة (٥١) والمسعودي في مروج الذهب ٣: ٢٧ قال: وفي سنة (٥٩) وفد على معاوية وفد الأمصار من العراق وغيرها فأخذهم بالبيعة ليزيد.

مصادر الكتاب

١ ـ **الاحتجاج على أهل اللجاج**، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: ٥٦٠ هـ. ق).

٢ ـ **الأخبار الموفقيات**، أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن ثابت القرشي الأسدي (ت: ٢٥٦ هـ. ق)

٣ ـ **الاختصاص**، الشيخ المفيد، أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ. ق).

٤ ـ **اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)**، أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المعروف بـ(شيخ الطائفة) (ت: ٤٦٠ هـ. ق).

٥ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ.ق).

٦ ـ **الاستيعاب في أسماء الصحابة**، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي المالكي (ت: ٣٦٣ هـ. ق).

٧ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير الجزري) (ت: ٦٣٠ هـ. ق).

٨ ـ **الاشتقاق**، أبوبكر محمّد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١ هـ. ق).

٩ ـ **أصول الكافي (الكافي) (روضة الكافي)**، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت: ٣٢٩ هـ. ق).

١٠ ـ **أعلام الدين في صفات المؤمنين**، الحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري).

١١ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى**، أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: من أعلام

القرن السادس).

١٢ ـ **الأغاني**، أبوالفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ. ق).

١٣ ـ **الأمالي**، أبو عبدالله محمّد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بـ(المفيد) (ت: ٤١٣ هـ. ق).

١٤ ـ **الأمالي**، أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بـ(الشيخ الطوسي) (ت: ٤٦٠ هـ. ق).

١٥ ـ **الأمالي**، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ. ق).

١٦ ـ **الإمام المجتبى (أبومحمّد الحسن المجتبى عليه السلام)**، حسن المصطفوي (معاصر).

١٧ ـ **الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)**، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ. ق).

١٨ ـ **أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ. ق).

١٩ ـ **الإيضاح**، أبومحمد الفضل بن شاذان بن خليل النيسابوري (ت: ٢٦٠ هـ. ق).

٢٠ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، محمدباقر بن محمدتقي المجلسي (ت: ١١١١ هـ.ق).

٢١ ـ **البداية والنهاية**، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المعروف بـ(ابن كثير) (ت: ٧٧٤ هـ. ق).

٢٢ ـ **بصائر الدرجات**، أبوجعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمّي (ت: ٢٩٠ هـ.ق).

٢٣ ـ **البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ. ق).

٢٤ ـ **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ.ق).

٢٥ ـ **تاريخ الشام = تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة

الله الشافعي (ت: ٥٧١ هـ. ق).

٢٦ ـ **تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ. ق).

٢٧ ـ **تاريخ اليعقوبي (تاريخ ابن واضح)**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ زق).

٢٨ ـ **تاريخ بغداد (مدينة السلام)** ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ. ق).

٢٩ ـ **تاريخ خليفة**، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري البصري (ت : ٢٤٠ هـ. ق).

٣٠ ـ **تاريخ عمرو بن العاص** ، حسن إبراهيم حسن المصري (معاصر).

٣١ ـ **تاريخ القرآن**، أبوعبدالله بن نصر الله الزنجاني (معاصر).

٣٢ ـ **تاريخ مدينة دمشق**، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بـ(ابن عساكر) (ت: ٥٧١ هـ. ق).

٣٣ ـ **تذكرة الخواص من الأُمة بذكر خصائص الأئمة**عليهم السلام، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله، سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ ق).

٣٤ ـ **ترتيب الأمالي**، محمد جواد بن منصور المحمودي (معاصر).

٣٥ ـ **ترجمة الإمام الحسن**عليه السلام **من تاريخ مدينة دمشق**، إعداد محمد باقر المحمودي (معاصر).

٣٦ ـ **تشييد المطاعن لكشف الضغائن**، محمد قلي بن محمد حسين بن حامد الموسوي النيسابوري (ت: ١٢٦٠ هـ.ق).

٣٧ ـ **تفسير فرات الكوفي**، أبوالقاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت: ٣٥٢ هـ. ق)

٣٨ ـ **تلخيص الشافي**، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ. ق).

٣٩ ـ **التمهيد**، محمد هادي المعرفة (معاصر).

٤٠ ـ **تنزيه الأنبياء**، أبوالقاسم علي بن الحسن الموسوي المعروف بـ (الشريف المرتضى) (ت: ٤٣٦ هـ. ق).

٤١ ـ **تهذيب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ.ق).

٤٢ ـ **التوحيد**، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت: ٣٩١ هـ.ق).

٤٣ ـ **تيسير المطالب في أمالي أبي طالب**، السيد يحيى بن الحسين بن هارون (ت: ٤٢٤ هـ. ق).

٤٤ ـ **جمهرة اللغة**، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١ هـ.ق).

٤٥ ـ **حياة الإمام الحسن** عليه السلام، الشيخ محمد باقر شريف القرشي (معاصر).

٤٦ ـ **خصائص الإمام أمير المؤمنين** عليه السلام، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ. ق).

٤٧ ـ **الخصال الممدوحة والمذمومة**، أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بـ (الشيخ الصدوق) (ت: ٣٨١ هـ. ق).

٤٨ ـ **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة**، السيّد علي خان الشيرازي (ت: ١١٣٠ هـ.ق).

٤٩ ـ **الدروس الشرعية**، شمس الدين محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول) (ت: ٧٨٦هـ ق) من موسوعة الشهيد الأول.

٥٠ ـ **دلائل الإمامة**، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي (من أعلام القرن الخامس الهجري).

٥١ ـ **الذرية الطاهرة**، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي (ت: ٣١٠ هـ. ق).

٥٢ ـ **سنن أبي داود** ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥ هـ.ق).

٥٣ ـ **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٩٧).

٥٤ ـ **شرح نهج البلاغة**، عز الدين عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي المعروف بـ(ابن أبي الحديد) (ت: ٦٥٦ هـ. ق).

٥٥ ـ **الشيعة وفنون الإسلام**، أبو محمد الحسن الصدر (معاصر).

٥٦ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت: ٢٥٦ هـ. ق).

٥٧ ـ **صلح الحسن**عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين (معاصر)

٥٨ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت: ٢٣٠ هـ. ق).

٥٩ ـ **عقيدة الشيعة في الإمامة**، محمد باقر شريعتي الإصفهاني النجفي (متأخر).

٦٠ ـ **علل الشرائع**، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت: ٣٨١ هـ.ق).

٦١ ـ **عمرو بن العاص**، عباس محمود العقّاد (معاصر).

٦٢ ـ **عمرو بن العاص بين يدي التاريخ**، عبدالخالق سيّد أبورابية المصري (معاصر).

٦٣ ـ **عيون أخبار الرضا**عليه السلام ، أبو جعفر الصدوق (ت: ٣٨١ هـ.ق).

٦٤ ـ **عيون الأخبار**، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٥٦ هـ.ق).

٦٥ ـ **الغارات (الاستنفار والغارات)** ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بـ(ابن هلال الثقفي) (ت: ٢٨٣ هـ. ق).

٦٦ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة**، عبدالحسين بن أحمد الأميني التبريزي النجفي (ت: ١٣٧١ هـ.ق).

٦٧ ـ **الفتوح (كتاب الفتوح)**، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤ هـ.ق).

٦٨ ـ **الفروق بين الأباطيل والحقوق**، أبوالحسن محمد بن بحر بن سهل الشيباني.

٦٩ ـ **فضائل الصحابة** ، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التيمي السمعاني (ت: ٥٦٢ هـ . ق).

٧٠ ـ **قاموس الرجال**، الشيخ محمدتقي بن كاظم بن محمد التستري (معاصر).

٧١ ـ **الكامل** ، أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥ هـ.ق).

٧٢ ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير الجزري، علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت: ٦٣٠ هـ.ق).

٧٣ ـ **كتاب سليم بن قيس الهلالي العامري** (ت: ٧٦ هـ. ق).

٧٤ ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستّة**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ.ق).

٧٥ ـ **كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام**، أبوالحسن علي بن عيسى بن أبي الفتوح الإربلي (ت: ٦٩٢ هـ. ق).

٧٦ ـ **كشف المحجّة لثمرة المهجة**، أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد طاووس الحسني (ت: ٦٦٤ هـ. ق).

٧٧ ـ **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام**، أبوالقاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمّي الرازي (من أعلام القرن الرابع الهجري).

٧٨ ـ **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام**، محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي (ت : ٦٥٨ هـ. ق).

٧٩ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**، أبو جعفر الصدوق (ت: ٣٨١ هـ.ق).

٨٠ ـ **مثالب العرب**، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ.ق).

٨١ ـ **المحاسن والمساوئ**، إبراهيم بن محمد البيهقي (ت: ٣٢٠ هـ. ق).

٨٢ ـ **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ‍ق).

٨٣ ـ **مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة**، أبوعبدالله، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ‍ق).

٨٤ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبوعبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم الحسكاني النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ. ق).

٨٥ ـ **مسند أحمد** ، أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١ هـ.ق).

٨٦ ـ **مسند الإمام المجتبى**، عزيز الله العطاردي (معاصر).

٨٧ ـ **المصباح**، إبراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي (ت: ٩٠٥ هـ. ق).

٨٨ ـ **المعارف**، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ.ق).

٨٩ ـ **معاوية وعمر بن العاص**، السيّد تحسين الموسوي (معاصر).

٩٠ ـ **معجم البلدان**، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦ هـ.ق).

٩١ ـ **المعجم الكبير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ.ق).

٩٢ ـ **المفاخرات**، زبير بن بكار بن عبدالله بن ثابت القرشي الأسدي (ت: ٢٥٦ هـ. ق).

٩٣ ـ **مقاتل الطالبيين** ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الإصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ.ق).

٩٤ ـ **مقتل الإمام الحسين**عليه السلام، أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت: ٥٦٨ هـ.ق).

٩٥ ـ **مقتل الإمام علي بن أبي طالب**عليه السلام، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد المعروف بـ(ابن أبي الدنيا) (ت: ٢٨١ هـ.ق).

٩٦ ـ **مناقب آل أبي طالب**، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ. ق).

٩٧ ـ **من تاريخ تدوين الحديث رواية وكتابة حتّى عهد معاوية**، المؤلف.

٩٨ ـ **موسوعة التاريخ الإسلامي**، محمد هادي اليوسفي الغروي (المؤلف).

٩٩ ـ **نفحة اليمن فيما يزول بذكر الشجن**، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشرواني (ت: ١٢٥٣ هـ. ق).

١٠٠ ـ **نهج البلاغة (خطب ورسائل وكلمات الإمام علي عليه السلام)**، جمعه واعدّه السيّد أبوالحسن الشريف الرضي محمد بن الحسن بن موسى الموسوي (ت: ٤٠٦ هـ.ق)

١٠١ ـ **الوزراء والكتّاب**، للجهشياري، محمد بن عبدوس بن عبدالله الكوفي (ت: ٣٣١ هـ. ق)

١٠٢ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١ هـ. ق).

١٠٣ ـ **وقعة صفين**، نصر بن مزاحم المنقري (ت: ٢١٢ هـ.ق).

الفهرس

عصر الإمام المجتبى عليه السلام ٣
اجتماعياً وسياسياً ٣
مقدمة المجمع ٧
مقدّمة المؤلف ٩
الإمام المجتبى عليه السلام مع الرسول المطصفى صلى الله عليه وآله ١١
مع جدّه في مولده ١١
الحسن عليه السلام في آية التطهير ١٣
الحسن عليه السلام في المباهلة ١٤
إنزل عن منبر أبي ١٦
خطبة الحسن عليه السلام في وفاة أبيه ١٧
وخطبتاه قبل البيعة له وبعدها ١٩
ثمّ أقدم على ابن ملجم ٢١
نعي الإمام إلى المدينة والشام ٢٢
بيعة الحسن عليه السلام بالحرمين ٢٤
عهد الإمام الحسن عليه السلام ٢٦
كتابه إلى معاوية ٢٨
جواب معاوية ٣٠
جاسوسا معاوية ٣٢
وكتاب ثان ٣٤
ابن حرب يبدأ الحرب ٣٤
خطبة الحسن عليه السلام للجهاد ٣٥
مسير الإمام إلى الشام ومقدّمته ٣٧
وسار الإمام إلى المدائن ٣٩
معاوية وابن عباس وابن سعد ٤١

غدرهم وخبرهم إلى المدائن ٤٣
رسل السلام ومشورة الإمام ٤٤
كتب وشروط للحسن عليه السلام ٤٧
وكتاب وشرط أمان لقيس ٤٩
معاوية إلى النخيلة، وبيعة الحسنين عليهما السلام وقيس وخطبهم ٥٠
معاوية في جامع الكوفة ٥٥
المعترضون على صلح الإمام عليه السلام ٥٦
الإمام في مجلس معاوية ٥٩
الحسين عليه السلام والمعترضون ٦٢
الإمام، وفراق العراق ٦٣
عاملا الشام على العراقين ٦٥
الأشعري وأبو هريرة في الكوفة ٦٧
بسر في البصرة في رجب (٤١ هـ) وأبناء زياد ٦٨
معاوية والروم ٧٣
والشام أرض مقدّسة وهو كاتب الوحي ٧٣
وأمر زياد ومعاوية ٧٤
زياد مع المغيرة في الكوفة ٧٩
معاوية وعمرو وابن جعفر ٧٩
وابن درّاج على الخراج والصفايا وهدايا النوروز والمهرجان ٨٢
موسم الحج والاحتجاج على الحسن عليه السلام ٨٤
عقيصا وعويص أمر الصلح ٨٧
هل حجّ ابن العاص ولقى الإمام عليه السلام؟ ٨٩
الإمام عليه السلام في الشام ٩٠
بقايا خوارج النهروان في شعبان (٤٣ هـ) ٩٩
فاستلحق زياداً ليوليّه البصرة ١٠٣
معاوية وابن عباس وابن العاص ١٠٥
وعاد عمرو فهلك ١٠٨
وضعف الفهري عن إدارة البصرة ١٠٩

وعزل ابن عامر عن البصرة ١١٠
معاوية وسعد في المدينة ١١٥
وابن عباس ومعاوية ١١٧
أُسامة بن زيد وعمرو بن عثمان ١١٩
سعد ومعاوية في الطريق وفي مكة ١٢٠
إمرة زياد على البصرة ١٢٢
وحمل الدؤلي على تنقيط المصحف ١٢٦
أراد يزيد ورشّحوا غيره فقتله ١٢٦
المغيرة وولاية العهد ليزيد ١٣٠
المغيرة يكفّر معاوية ١٣١
وفد العراق لولاية عهد يزيد ١٣٢
موت المغيرة وزياد على العراقين ١٣٣
وتعقّب المولى سعيد بن سرح ١٣٦
مصاهرة معاوية لبني هاشم ١٣٨
وفود البصرة في عهد سَمُرة ١٤٠
قدم المدينة سنة خمسين ١٤٣
وسمّ الإمام عليه السلام ١٤٦
مواعظه لجنادة ١٤٩
وصيته إلى الحسين عليه السلام ١٥١
تشييعه ودفنه ١٥٢
تأبينه والحداد عليه ١٥٩
نعي الإمام في الشام ١٦٠
وعزل سعيداً وأمّر مروان بعد زمان ١٦٤
نعي الإمام في الكوفة ١٦٧
وصفه وتاريخ شهادته ١٦٩
مصادر الكتاب ١٧١